جامعة المنصورة

كليـة الآداب

بواعث اليوتوبيا عند العرب حتى عهد النبوة

" بين التنظير والممارسة "

إعـداد

د / عطية محمود محمد حسانين

وأستاذ مساعد جامعة الأزهر

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ.

مجـلة كلـية الآداب – جامعـة المنصـورة

العدد الثانى و الستون – يناير ٢٠١٨

بواعث اليوتوبيا عند العرب حتى عهد النبوة
"بين التنظير والممارسة "

د / عطية محمود محمد حسانين

ملخص:

أضحى مفهوم اليوتوبيا يتردد كثيراً في الأوساط الأدبية والنقدية كمصطلح جديد يطلق على كل عمل أدبي يحمل من الفضائل والمثل العليا مالم يحمله الواقع ، فبات نموذجاً لمجتمع خيالي يتحقق فيه الكمال أو يقترب منه ، فروحتُ أقلِّبُ النظر في تراثنا القديم ، وأُردِّدَ البصرَ لتخريج الموضوعات وانتشالها من الموت المحتمل الذي تُخيِّم عليه الإيديولوجيا المتطاحنة والرأسمالية المهيمنة واليوتوبيا المتنازعة ، فعرضتُ بعض النماذج من تراثنا العربي مما يجعل تأملاتنا للنظرية بحاجة أن توضع محل اعتبار، للانتقال من الإيديولوجيا المغلقة إلى اليوتوبيا الحالمة ، كما ناقشت بعض الحركات التي تُلهمُ المتأمِّل التطلع إلى مستقبل أفضل في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية .

***الكلمات المفتاحية** : الطوباوية ، الديستوبيا ، الصعاليك ، الدوافع ، النبوة .*

Abstract

The concept of utopia has become very frequent in the literary and monetary circles as a new term for every literary work that carries virtues and ideals unless it is borne by reality. It has become a model of a fictional society in which perfection is achieved or approached. The potential death of the militant ideology, the dominant capitalism and the competing utopia, presented some models of our Arab heritage, which makes our reflections of the theory need to be replaced by hope, to move from closed ideology to utopia dreaming, as discussed Some movements inspire the contemplator to aspire to a better future in political, social and cultural life.

-Keywords: Utopia, Dystopia, Bulls, Motives, Prophecy.

المقدمة :

الحمد لله حمدا يليق بجلاله وكماله سبحانه وتعالى، شرع لنا دينا قويما، ومنحناالعقل تكريماوتكليفا، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنه وكان بعباده خبيرا لطيفا،أنزل القرآن بلسان عربي مبين، ونزَّه نبيه عن الشعروالتأويل، عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم ...

فمهما يبلغ الإنسان من تطور،فلا بد من بقاء الصراع بين الشر الواقعي والمثالية غير المتناهية التي يطلق عليها (الخلود، أوالطوباوية،أوالانبعاث المتجدد،أواليوتوبيا) حتى يبلغ الإنسان مرحلة يعتبرالحصول على الفضيلة فيها جزءاً ضروريا، والعيوب والمثالب فريضة واقعية متفاوتة لابد من التخلص منها ، فاليوتوبيا أوالطوباوية حقيقة يتضاءل وجودها الخارجي، وهي حلمٌ راود الإنسان منذ قدم الأزمان من أجل تحقيق الحرية ، والعدالة ، والسعادة، والسلام، والمساواة، والإنسانية ، وهي مستقبل دورات أزمانها محدودة الأمد يتخللها نظرة يصعب معها تحقيق كافة خصائصها .

فالدعوة إلى الحرية، ودفع الجوع ، ورد الظلم، ومحاربة الفقر، ومعاونة المحتاجين، وطلب المساواة ، ومقاومة الانهياراالاجتماعي، والقمع السياسي أوالشمولية،تلك الفيروسات التي أمرضت المجتمع وأضعفت مناعته .. وغيرها من الصفات التي دعت إلى معالجتها اليوتوبيا في مدينتها الفاضلة، كانت من أهم الأهداف التي عان منها العرب في واقعهم السياسي القاسي الذي ساد مجتمعهم ، ويبدوا أنهم أرادوا يوتوبيا صريحة مادام يرفضون ذلك الواقع ، فأحدثوا أول تمرد، وأول

خـروج، وأول صـدع قـويّ الأثـر فـي مجـتمعهم القديم .

ولقد حفل تراثنـا العربـي القديم بالعديـد مـن النمـــاذج – منهـــا: تمـــرد امـــرئ القيس،وثـــورة الصعاليك ، والدعوة إلى السلام عند زهير– التي أظهرت محاولات قريبة الشبة باليوتوبيا المعاصرة ، إلا أن هذا كان غير رائج ؛لأنه ظهر بصورة فردية أولية ولم تحظ بالدراسة والعناية.

فالدافع قديما– في بادئ الأمر– كان فرداً يحمل طابعاً خاصاً أو دعوة لحل قضية ما ، فلم يكن هَمُّ امرئ القيس الانتماء والولاء للقبيلة، أوهمُّ زهير فرضية السلام العام، وإنما كان امرؤ القيس يريـد عـودة ملكـه الزائـل، ويريـد زهيراسـتمرارية الصـلح بـين القبيلتين المتنـاحرتين عبس وذبيـان لتأريخ مجده الشخصي، ثم تطور الدافع نوعا ما، فكانت الصعلكة التي تَمَرَّدت على النظام القبلي صـاحب السـيادة والسـلطة دون أن تحـرك فينـا الشـعور بـالخوف ، بـل تثيـر فينـا – أحياننـا – مشاعر الشفقة ؛ لأنها لم تخرج بطارئ فردي أو منفعة فردية فحسب، بل تطرح قضية مجتمع في وجه الرأسمالية والديكتاتورية ، لتدل دلالة واضحة على الشكوى والألم والجوع وآثارهم على الإنسان، كما تدل على سمات سلوكية معينة من أهمها : المـروءة والأنفـة والإبـاء والترفـع عـن الصـغائر، وحرصـــهم علـــى البـــر والاهتمـــام بالضـــعفاء والمحتاجين، فهم يمتلكون صفات ثورية خاصة.

فالصـعاليك طائفـة حاولـت القضـاء علـى الفقر والجوع والتسول بصورة تتمثل في جماعات تمـارس الاتحـاد والاعتصـام والمقاومـة، وممارسـة الكدّيـة ، والاحتيـال قصـد الإيقـاع بـالآخرين مـن أجـل الحصـول علـى المـال ، أو الحـب أو لقمـة العيش لمجتمعهم، وكأن هؤلاء الصعاليك يبحثون عن المدينـة الفاضـلة في ديستوبيا مجتمـع فاسد ، مخيف أو غير مرغوب فيه ، تحكمه العنصرية ، بطريقة ما في واقع مرير .

كـل ذلـك يحمـل مـدى إقبـال الـنفس البشـرية على الخير واستحسانها لـه، وقضـاء حوائج الناس ، وسد الفقر والفاقة.

فاليوتوبيـــا ليســـت بالضـــرورة أن يكـــون المقصـود منهـا الهـروب مـن الواقـع نحـو أفكـار مثالية حالمة غير موجودة أوغير واقعية، بل يجب أن تكـون بمنتهـى الواقعيـة لتغييرواقـع مـا، وتـدعو لتحقيقه على أرض الواقع.

ولقد قصدتُ بهذا العمل الإسهامَ في الكشف عن هذه الظاهرة ؛ليظهر ما يحمله الأدب العربي القديم من نظريات واتجاهات معاصرة ،لردِّ مكايد خصومه الذين اتهموه بالضعف في هذا الجانب، وتسليط الضوء علـى أحد الجوانـب الكامنـة فيـه، مُعتمداً المنهجين التاريخي والفني .

وللوقوف علـى حقيقـة اليوتوبيـا ولتجليـة هـذا الاتجاه الفني الجديد،احتوى هذا العمل على خمسة مباحث ، تسبقها مقدمة وتلحق بها خاتمة جاءت على هذا النحو: ففي المقدمة بينت دوافع الوقوف أمـام هـذه الظـاهرة ، وهـدفي مـن الإسـهام فـي الكشف عنها .

وفـــي المبحـــث الأول : مفهـــوم اليوتوبيـــا والديستوبيا ، وعرضتُها– في البحث – بشيء من التفصيل

وفي المبحث الثاني : تأصيل ظاهرة اليوتوبيا .

وفي المبحث الثالث:حركات يوتوبية .. لطوائف وشعراء الجزيرة العربية .

وفي المبحث الرابع : اليوتوبيا في شعر الصعاليك

وفي المبحث الخامس : عهد النبوة .

وفي الخاتمة:أشرت إلى النتائج التي توصلت إليها، وإلى التوصيات التي يجب أخذها في الاعتبار، والله تعالى أسأل أن أكون قد وفقت فيما عرضت .فهو حسبي ونعم الوكيل .

المبحث الأول:

مفهوم اليوتوبيا والديستوبيا

إن مفهوم اليوتوبياوالديستوبيا بات مألوفا في هذا العصر، ولكن لا نعرف المعنى الدقيق له قديما ، فلقد ترادفت وتضادت في استخدمه الكلماتُ لوصف كل ما هو ممكن، أو كل ما هو غير مقبول على مر العصور ظهرهذان المصطلحان وازدهرا في القرن السادس عشر؛ ليعبرا عن منظومة اجتماعية جديدة وحياة مثالية فاضلة ، ويظهران مدى التطور الذي خضعت له حياة الشعوب على مر القرون .

ويتناول هذا المبحث مفهوم اليوتوبيا والديستوبيا كوسيلة للفكر السياسي والاجتماعي، ووسيلة أدبية من أجل التوصل إلى معنى دقيق لهذين المصطلحين .

١- المحور الأول: مفهوم(اليوتوبياUtopia)

لقد مرمصطلح اليوتوبيا بطورين ، الطورالأول كانت تعني اليوتيوبيا فيه المعنى البعيدأو(الأَوَّلِي) : تعني مجتمعاً مثالياً خيالياً لسعادة الإنسان الخالية من النقائص البشرية .. فاتَّخذها أفلاطون رمزاً لمدينته الفاضلة أي الخالية من العيوب والنقائص.

فهي " حركة لا نهائية تجاه هدف لا يمكن إحرازه" [١].

ويقول الدكتورواللامي:" وغدا المفهوم الشائع لكلمة يوتوبيا يطلق على نموذج لمجتمع خيالي، يتحقق فيه الكمال أو يقترب منه ، ويتحرر من الشرورالتي تعاني منها البشرية "[٢].

وهذا يؤكد أن اليوتوبيا كانت فكرة من الصعب تحقيقها،ومن المستحيل بناء عالمٍ على المثل والفضائل، فلقد " طرح هور كهايمر فكرة (الأخروية) وتعني العلاقة مع ما هو خارج عن العقل والمذاهب ، أي التعلق بالدين أواليوتوبيا التي تولد الوعي إلى الحرية بالرغم من يقين العقل بأنه لا حل لمشكلة الحرية على صعيد التنظيم الاجتماعي السياسي "[٣].

كذلك استعمل جميل صَليبَا وعبد المنعم الحفني كلمة يوتوبيا كمقابل للكلمة الإنجليزية Utopia والفرنسية Utopie عن الأصل اللاتيني Utopia ،وإن كان المعجم الفلسفي لصليبا يضع مقابلها بالعربية كلمة(طوباوية)، نسبة لطوبى

(١) بحث بعنوان " اليوتوبيا بين القراءة والخلاص" ، مؤلف/ سيلفانا رابينوفيتش ، ترجمة: آمال تمام الكيلاني ، مجلة ديوجين – مصر، صـ ١٥٠ ، العدد ٢٠٩ ، طبعة سنة ٢٠٠٧ م .

(٢) بحث بعنوان " في اليوتوبيا العربية "، جبار عباس اللامي ، مجلة الثقافة – الأردن ، صـ ٢١٦، العدد ٦٠ ، ٢٠٠٣م .

(٣) بحث بعنوان " الرسالة بين الأيديولوجيا واليوتوبيا "، مطاع صفدع ، العدد ١٤-١٥ ، صـ ١١ ، مجلة الفكر العربي المعاصر – لبنان ، سنة ١٩٨١م.

وهي الجنة، وكذلك الموسوعة الفلسفية للحفني، سوى أن الأخير يضع لفظة (طوباوية) كمقابل لكلمة Utopianism .

فيقول الحفني:هي" اتجاه مثالي، بمعنى خيالي، حيث يشتق من Utopia الإغريقية، بمعنى المكان المتخيَّل الذي لا وجود له على أي أرض " (٤).

ويقول جَمِيل صَليبَا : الطوباوية " لفظ معرَّب أصله(أوطوبيا) أو(يوطوبيا)، وهو مؤلف من لفظين يونانيين: طوبوس (Topos) ومعناه المكان، و:(أُو:OU) ومعناه ليس، فمعنى(اليوطوبيا) إذن ما ليس في مكان، وهو الخيالي أوالمثالي، وأول من استعمل هذا اللفظ (طوماس موروس Thomas Morus) في كتابه(De optimo republicae statu deque nova insua Utopia)، وهو يصوِّر مدينة خيالية ذات نُظم مثالية ، تضمن لأفرادها أسباب الخير والسعادة ، ثم اطلق هذا اللفظ – بعد ذلك – **على كل ما يصوِّر النظام المثالي للمجتمع الإنساني** "(٥).

ومن هنا بدأ **الطور الثاني للمصطلح،** فأصبح يطلق على ما يمكن تصوُّره، فتحول من الخيال إلى الواقع، ثم أصبحت الكلمة تستخدمُ لوصفِ كلِ عملٍ أدبي أوفلسفي يتعلقُ بالمثالية، فظهرت قصص وروايات لها طابع يوتوپي،ولاسيما يوتوبيا الروايات ذات الطابع الاجتماعي خِصِّيصاً

فكلا المرجعين السابقين يقدمان تعريفا لليوتوبيا يدور حول هذه العناصر التالية :

- وضع اللفظ العربي " طوباوية " مقابل للفظ الأجنبي(Utopia).
- الطوباوية تطلق على المثالي، الذي لا يحتويه مكان على الأرض .
- يطلق وصف الطوباوية على كل أجناس الكتابات التي تصف الأنظمة المثالية التي ينبغي أن يعيشها المجتمع .

لذلك" يرى البعض أن المدينة الفاضلة (اليوتوبيا) ممكنة الوجود،أنه يمكن للناس أن تعيش في مدينة فاضلة، لكنها ليست بالمواصفات التي وصفها كِتابات الفلاسفة والتي تصل من وجهة نظرهم إلى تصوُّر مثالي للغاية لا يمكن للبشر بلوغه "(٦).

وبدأت اليوتوبيا تقترب من أرض الواقع رويدا، فتعرِّفها الكاتبة خلال حديثها عن كتاب (اليوتوبيا)، فتقول: " إنه يتحدث عن مكان يجمع بين الواقع والخيال،وعن عالم لا يعرف الخوف، حيث يمكن استخدام الاختراعات الجديدة لمصلحة الفردوالمجتمع،وباختصارهووعد بالفردوس ...

(٤) موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، عبد المنعم الحفني ، ٢/ ٨٤٣ ، مكتبة مدبولي ، ط٣ ، سنة ٢٠١٠م .

(٥) المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية ، جميل صليبا ، ٢/ ٢٤ ، دار الكتاب اللبناني ، طبعة سنة ١٩٨٢ م (باب : الطاء ، طوباوية).

(٦) جمهورية أفلاطون (المدينة الفاضلة كما تصوَّرها فيلسوف الفلاسفة)، إعداد/ أحمد المنياوي ، صـ ١٠ ، دار الكتاب العربي – دمشق – القاهرة ، الطبعة ١ ، سنة ٢٠١٠م.

ولكن يمكن الوصول إلى هذه الفردوس ونحن أحياء على هذه الأرض"[٧].

يعرفهاالكاLESJEKKOLAKOWSKI) بأنها:" الاعتقاد بمجتمع يتصف ليس فقط باستبعاد مصادر الشر والصراع والعدوان،إنما تتحقق فيه مصالحة تامة بين ماهو عليه الإنسان، ماذا سيصبح،ما يحيط به "[٨].

حاول كتير من العلماء صبَّ اليوتوبيا على أرض الواقع وتفعيلها حقيقةً لا حلماً ولا خيالاً، لأن "طبيعة الإنسانية واليوتوبيا اقترنتا في كثير من الأحوال مع بعضها البعض وعندما عرف التاريخ العديد من اليوتوبيات،فإن المعنيِّين بدراستها يدركون أن جوهرها يقوم على تصورإمكانية تغيير المجتمعات،استناداً إلى مُثُل عليا يؤمن بها الناس بحماسة وإخلاص، مما يؤدي إلى إيجاد العالم السعيدوالحر، والعادل،والمتناسق، لقد كان هذا التصورموجوداً في صميم الفكر السياسي اليوناني، وما زال الكثيرون يؤمنون به إلى يومنا هذا " [٩].

وما جعل اليوتوبيا حلماً وخيالاً أن العالم لا يسعي إلى تحقيقها ، فما زالت أفكاره قاصرة على هيمنة السلطة،والمقاومة،والمادة،والمركزية، والتحدي، والحرب ، والدمار ،وردع ما يتمرد على نواميس السياسة ، يقول أوسكاروايلد:" إن خريطة العالم لا تحتوي على يوتوبيا، لا تستحق حتى مجرد النظر إليها .... إن التقدم هو تحقيق اليوتوبيا في الواقع "[١٠].

ويطلق لفظ الطوباوية – أيضا– على المثل العليا السياسية والاجتماعية التي يتعذر تحقيقها لعدم بنائها على الواقع ، أو لبعدها عن طبيعة الإنسان وشروط حياته، من هذه المثل العليا: فكرة السلام العام ، وفكرة التقدم المستمر، وفكرة المساواة الطبيعية ..وغيرها،ومع أننا نرى أن كثيراً من رؤى الشعراء والعلماء الفلاسفة تنقلب بعد مدة من الزمان إلى حقائق واقعية [١١].

ويرى كيث بوكرKeith Booker:أنَّ الفرد عندما يفقد القدرة على التفكير التاريخي، فإنه يفقد القدرة على التفكير اليوتوبي،وضعف اليوتوبيا يعني الضعف في تخيل الحصول على مجتمع مثالي في المستقبل، فالتفكير اليوتوبي يتطلب أمرين:**نقد الوضع الراهن، وتقديم بديل يحل محل الوضع الراهن في المستقبل**، لذا يرى بوكر– مستندا على أطروحات فريديرك جيمسون– أن أدبَ ما بعد الحداثة لم ينتقد الوضع الراهن ، ولم يقدم بديلاً عملياً يساعد الناس على الحصول على حياة أفضل في المستقبل[١٢] .

---

(٧) بحث بعنوان " يوتوبيا ٩ / ١١ : التماس لعالم جديد " ، نيكول شوارتز مورجان ، ترجمة / سعاد الطويل ، العدد ٢٠٩ ، مجلة ديوجين – مصر ، صـ ٦٣.

(8): LESJEK KOLAKOWSKI ،The Death of utopia Reconsidered TheTheaner lectures on human values the Austratian National university . june 22.1982. أورده

(٩) بحث بعنوان " بين اليوتوبيا والواقع وحلم سلام المستقبل "، عبد الكاظم العبودي ، العدد ١٣ ، المجلة العربية لعلم الاجتماعي – لبنان ، سنة ٢٠١١ م ، صـ ١٤١.

(١٠) بحث بعنوان : بين اليوتوبيا والواقع وحلم سلام المستقبل ، عبد الكاظم العبودي ، صـ ١٣٤.

(١١) ينظر: المعجم الفلسفي ، جميل صليبا ، ٢/ ٢٤.

(12) Booker, M. Keith. Monsters, mushroom clouds, and the Cold War: American science fiction and

كل هذا يؤكد مرور لفظ اليوتوبيا بطورين، حيث بدأ حلما خياليا لا يمكن حدوثه ، ثم أصبح حقيقة ممكنة الحدوث على أرض الواقع .

٢- المحورالثاني:مفهوم(الديستوبيا Dystopia

الديستوبيا وهي الضدُّ من اليوتوبيا، فهي المدينة الفاسدة التي ترزخ تحت الفقر والجوع والظلم ، عُرِفَ هذا المصطلح عند الكاتب" جورج أورويل "في روايته الموسومة بـ (١٩٨٤)، وكتبت روايات عديدة في هذا الموضوع،منها:ألعاب الجوع HungerGame) لسوزانكولبنز ،ورواية(المضيف Thehost)لستيفانيمايرز...وغيرهامن الروايات[١٣].

<u>وهنا نتساءل..هل هناك فرق بين اليوتوبيا والديستوبيا والأيديولوجيا</u> ؟!.

١- توصَّل (سيبرياني) إلى أن هناك تعارض بين المفهومين،فالأيديولوجيا تميل إلى إضافة الشرعية على الوضع الراهن،في حين أن اليوتوبياهي أكثر ابتكاراً ونقداً، وتهدف إلى التغييروالتغلب على ما هو قائم [١٤]،

ويرى(مانهايم)أن الفارق الأساسي الذي يَرسُم التخوم بين الأيديولوجياواليوتوبيا هو مسألة التغيير،لأن الإيديولوجيا في كثير من الأحيان تكون مصدر اللباثولوجيا الاجتماعية والتصلّبات السياسية والانغلاقات الدينية والانزلاقات التاريخية، هنا تتدخَّل اليوتوبيا لتُغيِّر الوضع السائد نحو طريق بعيد عن الأسباب المؤدِّية إلى اختلالات النظام الاجتماعي [١٥].

فما نهايم يرى أن الإيديولوجيا واليوتوبيا شكلان من أشكال اللَّاتطابق، ويضع نقاط أفضلية لليوتوبيا في التعارض مع الواقع الراهن الذي تؤيده الإيديولوجيا .

وهذا يؤكد أن الإيديولوجيا صورة للسياسة المستخدمة والوضع الاجتماعي القائم دون دعوة منها للتغييرأو التحوُّل، أو تقديم نقد أوحلول لها، وهي تشبه الديستوبيا في هذا الجانب ، ولكن يبدو مما سبق أن الإيديولوجيا تكون مؤيدة للوضع الراهن والقانون السائد مدافعة عنهما ، بخلاف الديستوبيا فهي تصف المسالب دون تأييد أو دفاع، أما اليوتوبيا فهي الارتحال إلى المستقبل والدعوة إلى التغيير والثورة والنقد ، محاولة بناء مجتمع مُتوهِّج وعالم مستنير يزخر بالقيم والمثل والفضائل لا نقول الخيالية ولكن القيم المنشودة والتي يمكن تحقيقهاولوبقدرقليل أو إلى حد مقبول...فهذا يؤكد أن الديستوبيا ضد اليوتوبيا..والإيديولوجيا تتعارض مع اليوتوبيا ، وإن كانت قريبة الشبة بالديستوبيا..

---

the roots of postmodernism, 1946-1964. Vol. 95. Greenwood Publishing Group, 2001.. P: 23

(١٣) ينظر بحث بعنوان: ثنائية(اليوتوبيا والديستوبيا) في الرواية العراقية ، أحمد عبد الرازق ناصر الحسني ، مجلة كلية الآداب جامعة بغداد– العراق ، العدد١١٢ ، سنة ٢٠١٥م ، صـ ١٣٦ .

(١٤) ينظر بحث بعنوان : الإيديولوجيا واليوتوبيا في فكر مانهايم : تأصيلات نظرية في الممارسات السياسية ، محمد أمين جيالي ، مجلة الاستغراب – مكتب بيروت لبنان ، العدد ٦، سنة ٢٠١٧م ، صـ٢٣٦ .

(١٥)ينظر بحث بعنوان: الإيديولوجيا واليوتوبيا في فكر مانهايم ، صـ ٢٣٦ .

المبحث الثاني

تأصيل ظاهرة اليوتوبيا

انشغل كثير من الفلاسفة المفكرين والعلماء والأدباء والشعراء – منذ أقدم العصور والأزمنة – بالبحث عن المدنية الفاضلة، والحلم باليوتوبيا التي تحمل من الفضائل والمثل العليا مالم يحمله الواقع ، لتعيش فيها الإنسانية والبشرية آمنةً مطمئنةً، متجاوزةً واقعها المؤلم المأساوي الدموي ، حالمةً بحياة تملأها السعادة، وبيئة أفضل، ومجتمع أكثرعدالة مساواة يفيض بالحب والرحمة والكرامة....ولقد حفل التراث القديم بنماذج عديدة لهؤلاء الباحثين عن اليوتوبيا الحقيقية ، وكان للفلاسفة الحظ الوافر والنصيب الكبر فيها .

أولاً: المحور الأول: تأصيل الظاهرة في الاتجاه الغربي :

ذكرتاريخ البشرية بعدد من الفلاسفة الذين أثروا العالم بأفكارهم المستنيرة،وأطروحاتهم النيّرة ، فالماضي بصورته البدائية– يراه الفلاسفة– هو الصورة المثالية للحياة ، فرسموا المدينة الفاضلة في صورة مثالية لا يمكن للبشر تحقيقها .

ولقد مرت اليوتوبيا في الاتجاه الغربي بأطوارعدة ، جاءت على النحو التالي:

الطورالأول:عهد أفلاطون(ولد٤٢٧– ت ٣٤٧ ق.م)،وكتابه(الجمهورية أوالمدينة الفاضلة) ،كانت بداية الفكرة عند أفلاطون البحث عن عالم خالٍ من الصراع ، يسوده العدل، فأعدَّ كتابه(الجمهورية) في صورة محاورة تاريخية، عبارة عن دراما فلسفية حقيقية ، تقوم أفكارها حول(المدينة الفاضلة) على لسان الشخصية الرئيسة فيها(معلمه سقراط) في صورة حيَّة، ولقد اعتمد على طريقة الحوار، لأنه يرى أن الحوار هو طريق اكتشاف الحقيقة ، وكانت هذه المحاورات تُقرأ بصوتٍ عالٍ ولاتُمثَّل،وكان السامعون يجدون فيها لذة ومتعة،تدور المدينةالفاضلة(حلم الفلاسفة) بل الحلم الأعظم للناس في كل مكان بل ولا تزال،حتى أصبح مصطلح (المدينة الفاضلة) همَّ الفلاسفة الأوَّل، ومحور بحثهم المضني عن سُبل تحول هذا الحلم إلى حقيقة ،حتى ولو بدا الأمر وكأنه صعب المنال أو أقرب إلى الحلم المستحيل

تناول الكِتَّاب مناقشة قضايا تخصُّ الدول والمجتمعات الشرقية والغربية منذ فجر التاريخ الإنساني وحتى يومنا هذا ، يناقش أفلاطون في بداية الكتاب فكرة العدالة ، وكيف نبني دولة عادلة أو أفراد يحبون العدالة ، ويقدِّمُ سقراطُ في المحاورات داخل الكتاب تعريفاً للعادل وهو الحكيم والصالح ، وأن المُتعدِّي هو الشرير والجاهل ، ويشبِّه أجزاء الدولة بأجزاء الإنسان ، فالدولة تنقسم إلى (طبقة الحكام – وطبقة الجيش – وطبقة الصناع والعمال)، وينقسم الإنسان إلى (الرأس وفيه العقل ، وفضيلته هي الحكمة – والقلب وفيه العاطفة ، وفضيلته هي الشجاعة – والبطن وفيه الشهوات، وفضيلته هي الاعتدال)، والدولة العادلة هي التي يقوم كل فرد فيها بالعمل الخاص بطبيعته: الحاكم يحكم ، الجندي يحمي، العامل يشتغل، ... وهكذا تكون فكرة العدالة في النفس البشرية والعدالة الاجتماعية هي جزء من هذه العدالة الداخلية .. ثم يتحدث أفلاطون عن

الطمع وحب المزيد من الترف،والتجارة وازدهار الدولة ، وزمن الديمقراطية، ومبدأها الأساسي هو تساوي كل الناس في المنصب وتعيين الخطة السياسية العامة للدولة، وتحدث عن الاستبداد ،والعلم ،والدمارالذي يحل بالدولة ،وصناعة القادة والحكام من غير خداع ،وحب المال والسلطان ، وإرادة إصلاح المجتمع ، فهو يطمع في مدينة فاضلة يسودها التآلف ، ويسيطر عليها الوئام(١٦).

أجاد أفلاطون في جمهوريته،تلك الجمهورية الخالدة التي جعلت من موضوعات (الحب والعدل والجمال)محورها الأساسي،وحفلت الجمهورية أيضاً بتشكيل عالم أفلاطون الخيالي الذي لا يزال ملهماً للبشرية في سعيها نحو العدالة والإخاء والحق، لقد كان الوضع المضطرب الذي عرفته(أثينا) في القرن الرابع قبل الميلاد،هو الذي دفع أفلاطون لكتابة مؤلفه الجمهورية .

وكانت المدينة الفاضلة لأفلاطون هي الشرارة الأولى أوالقشة التي قسمت ظهر البعير، فراح العلماء يلملمون حولها ويبحثون عن هذا الصنيع الجديد، وعن كل ما هومولود في هذه الحياة الفاضلة الجديدة .

١-الطورالثاني:القِدِّيسَ وْغُسْطِينُس

(٣٥٤–٣٤٠م) كان يحيا في عصور انحطاط الدولة الرومانية(١٧)،ظهرمؤلفه الموسوم بـ(مدينةالله)،الذي صاغه ليكون مثالاً ثانيا يقتدي به المفكرون(١٨) .

يناقش القديس في بداية الكتاب فكرة الخيروالشر وكيف يمكن أن تكون على السواء من نصيب الصالحين والأشرار، ولكن المهم لا يكمن في تلقي الخير والشر بل في كيفية استعمال هذا أو ذاك، إن مدينة الله المجيدة(يعني روما) سواء أكانت تتابع حجَّتها لتعيش إيمانها بين الأمم أم استقرت في الأبدية التي تتوق إليها بصبرٍ حتى يعود القضاء إلى العدل ، والذي ستظفر به أخيراً هذه المدينة بسلامٍ تام، ثم تحدث– بعد العدل– عن التكبر والمتكبرين وبما للتواضع من سلطان يرفعنا فوق العالم،وأن الله تعالى يقاوم المتكبرين ويهب المتواضعين نعمته،ويقول في خلاصة قوله" إن الله تعالى يغفر للمنسحقين ويحطم المتكبرين"،وتحدث عن مدينة الأرض سيدة الشعوب المستعبدة التي سوف تكون بدورها أسيرة شهوة التسلط(١٩).

كتب القديسُ كتابه(مدينة الله)وهو متقوقع في غرفته ليصور روما على أنها هي المدينة الفاضلة(٢٠).

٢-الطور الثالث: توماس مور(١٤٨٧م– ١٥٣٥م) ، فبعد المدينة التي ظهرت على يد

(١٦) ينظر: جمهورية أفلاطون ، صـ ١٠– ٣١ بتصرف كبير .
(١٧) ينظر : السابق ، صـ ٣٦ .

(١٨) ينظر بحث بعنوان : الاغتراب ونشأة المدينة واليوتوبيا ، محمد ذنون زينو الصائغ ، مجلة الوثيقة – البحرين ، مج ٣١ ، العدد ٦٢ ، صـ ٦٦ ، سنة ٢٠١٢م.
(١٩) ينظر :مدينة الله ، للقديس أوغسطينس ، نقله إلى العربية / الخور أسقف يوحنا الحلو ، دار المشرق – لبنان ، مج١/ ٧– ٩ ، الطبعة الثانية ، سنة ٢٠٠٦م.
(٢٠) ينظر : جمهورية أفلاطون ، صـ ٣٧.

القديس ، " كانت اليوتوبيا التي اشتهر بها المفكر (توماس مور)، حيث صاغ هذا المفكر كلمة اليوتوبيا من كلمتين يونانيتين، هما (UO ومعناها :لا) و(Topos ومعناها : مكان) ، بحيث تعني الكلمتان معا (Uotopos): اللامكان أو الطيب ... واختلف اللغويون والنقاد في تحديد مدلول الجزء الأول من هذه الكلمة وهل المقصود بها(اللاموجود أم الطيب أم المثالي)، وقد انتهى البعض إلى أنَّ العالم المثالي يكاد يكون فعلا عديم الوجود ، فلابد إذن أن كلمة يوتوبيا تحوي المعنيين معا دون أن يخل أحدهما بالآخر "[٢١].

وكان ظهور مصطلح اليوتوبيا مقترنا بظهور توماس مور، ولكنه كان يعني في بداية الأمر المثالية الاجتماعية والتربوية:" ارتحل خيال السير توماس مور إلى جزيرة مثالية متخيلة أسس فيها نظاماً اجتماعياً تربوياً يكفل السعادة والوئام للجميع "[٢٢].

"ولعل توماس مورالذي كتب كتابه المدينة الخيالية(يوتوبيا) بعد أن مارس السياسة وزيراً للملك هنري الثامن– وكان ملكاً مستبداً ، يعالج فيه كثيرا من المشكلات الاقتصادية، ويدعو إلى الإصلاح في اقتراحات عملية ، وربما لهذه الأسباب اعدمه الملك هنري الثامن "[٢٣].

تُرجم كتاب" يوتوبيا " لتوماس مورإلى الكثير من لغات العالم، ترجم إلى الفرنسية والإيطالية والألمانية الروسية واليابانية وأخيرا إلى اللغة العربية، له أهمية كبيرة كعمل أدبي فلسفي اجتماعي سياسي ، صاغ توماس كلمة " يوتوبيا " لتكون اسم علم لجزيرته المثالية ، وتعد يوتوبيا توماس من أكثر الأعمال شهرة وذيوعا؛ لتقديم صورة متكاملة لعالم مثالي، تختفي فيه شرورعالم الواقع ، وتتحقق فيه أحلام الإنسانية بالسعادة الكافية والعدل،وذلك في قالب روائي جذاب،وهذه سمة ميَّزت يوتوبيا توماس بـ(شكلها الأدبي الروائي) الذي قدم به توماس عالمه المثالي من ناحية ، وارتباطها بعالم الواقع ومشاكله ارتباطا وثيقا من ناحية أخرى،عن طريق الموازنة وإبراز أوجه الشبه والخلاف ، ومما يميِّزها أيضا ارتباطها بأحلام الإنسان وبواقعه على حد سواء ، فإن ما تعالجه من قضايا سياسية واجتماعية ليست وقفاً على عصر معين أو مكان بالذات، ولكنها قضايا إنسانية عامة تتخذ أش مختلفة في العصور المتعاقبة وتحت الظروف المتغيرة ،ولكنها واحدة في جوهرها ، ومن هنا ظلت يوتوبيا توماس عملاً حيًّا خالداً ، ووثيقة تاريخية من وثائق الحركة الإنسانية (Humanism) وتعد– كما يقول النقاد – مقدمة لعصر النهضة الذي شهد مولد تلك الحركة ، عكس توماس في مقدمة كتابه الحكومة المُثلى للدولة أو النظام المثالي للمجتمع ، قسَّم الكتاب إلى محورين أساسيين ، الأول:تحدث فيه عن العدل ، والسلام ،واشتراكية الحياة ، واحتقر الحرب والظلم والجشع ، والثاني :

(٢١) الاغتراب ونشأة المدينة واليوتوبيا ، صـ ٦٧.
(٢٢) السابق ، صـ ٦٧.
(٢٣) جمهورية أفلاطون ، صـ ٣٧.

وصف فيه نواحي الحياة في الجيرة المثالية ، والسكان ، والحكام ، والأخلاق ، والزواج ،وختمه بالحديث عن الأديان [٢٤].

٣-**الطور الرابع: فرانسيس بيكون**(١٥٦١م-١٦٢٦م)،وبعد يوتوبيا توماس ظهرت (أطلطناالجديدة) لمؤسسها التجريبي فرانسيس بيكون ، وصدرت محاولته هذه عن فلسفته التجريبية ، فلم يَبْنِ مدينته على المثال الأخلاقي ، وإنما أقامها على العمل ، وجعل حُكمها للعلماء[٢٥].

وقال الدكتورالعبودي: قامت مدينة أطلنطا الجديدة على عاتق التشريعات الاجتماعية أو الإصلاحات الدينية بنشر المعرفة على أساس من الفضائل الدينية والأخلاقية؛ ليجعلوا منها قوة من المُثُل العليا والأخلاق[٢٦].

٤-**الطورالخامس: توماس كامبنيلا** (١٥٦٨-١٦٣٤م)،القِس الإيطالي، الشاعر المعروف ، وكتابه (مدينة الشمس- The City Of Sun)، الذي جعل العمل الجبري أساساً في مدينته، والنبلاء هم العملاء، وجعل حُكمها للفلاسفة [٢٧].

حيث أنّ الظروف القاسية التي ألف من خلالها الكتاب، فضلاً عن خلفيته الاجتماعية وتكوينه ووظيفته الدينية ، مكَّنته من إنتاج عمل مختلف عن توماس مور، الشيء الذي أسهم في إغناء التنوع الأدبي الطوبوي بعدة أوجه فنية من الناحية الأدبية.

وعلى الرغم من أنّ كامبنيلا كتب في العديد من الميادين الفلسفية، إلا أنّ أكثر أعماله شهرة، هو « مدينة الشمس » ، حيث يصف من خلاله - عن طريق حوار شيق بين البحار والفارس - الحياة في هذه المدينة ، والتي تخضع لقوانين وأنساق ليس لها نظير على الكرة الأرضية ، وهي بالتالي تحقق التصور الذي يتخيله كامبنيلا لمدينته الفاضلة والمجتمع المثالي الذي يستحق أن يحمل راية توحيد العالم[٢٨].

صاغ كامبنيلا كتابه على شكل حوار ثنائي، بين الفارس الكبير **هوسبيتالر** وقبطان سفينة من **جنوا** ، حيث يبدأ الفارس الحديث بسؤال يوجهه إلى البحار يقول فيه : « من فضلك، حدثني عن كل خصوصيات هذه الرحلة »؟ ، وقبل الشروع في الإجابة، يحاول البحار إضفاء نوع من التشويق ، حيث يحدثه عن رسو سفينته الاضطراري جنوب الإكوادور، ومحاولته الهرب والاختباء بين الأشجار، وكيف وجده مجموعة من الرجال والنساء

(٢٤) ينظر: يوتوبيا ، توماس مور، ترجمة وتقديم/ أنجيل بطرس سمعان، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧م ، صـ ١٠- ٦٦ بتصرف كبير، مع إطلالة سريعة على المحتوى الكلي للكتاب.

(٢٥) الاغتراب ونشأة المدينة واليوتوبيا، صـ ٦٧.. لم أستطع الوقوف على كتاب(أطلطنا الجديدة).

(٢٦) ينظر: بين اليوتوبيا والواقع وحلم سلام المستقبل ، عبد الكاظم العبودي ، صـ ١٣٢.

(٢٧) ينظر: الاغتراب ونشأة المدينة واليوتوبيا ، صـ ٦٧.

(٢٨) ينظر بحث بعنوان: مركزية المعرفة في مدينة الشمس " قراءة في يوتوبيا الفيلسوف الإيطالي توماسو كامبنيلا " للباحث المغربي / محمد قنفودي ، موقع/ مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث ، ١٨ يوليو ٢٠١٦ ، صـ ٨ .

المسلحات، فاقتادوه إلى « مدينة الشمس »، وهي المدينة التي سيبدأ بسرد تفاصيل الحياة عليها [٢٩]

وتتميز الحياة على المدينة الخيالية لكامبنيلا بالحب والسعادة والوئام والتكافل، حيث كلّ شيء بداخلها يسير بطريقة مثاليّة ، وحيث تختفي أيضًا النزعات الأنانية أو حبّ التملّك، بل الجميع متوافق على نبذ مصلحته الخاصّة في سبيل المصلحة العامّة ، ويسمح بالموسيقى فقط للنساء وفي بعض الأحيان للأطفال، ومن مظاهر الحياة أيضًا على« مدينة الشمس »، هو أنّ الشباب ملزمون بخدمة من تجاوزت أعمارهم الأربعين سنة ، ضمن الأعمال التي يقومون بها في الورش وأماكن العمل ، كما يحظر إحداث أي ضوضاء في الأوقات المخصصة لوجبات الطعام [٣٠] .

وتؤكّد قراءة كتاب كامبنيلا ، خاصة شكل النظام داخلها ، وتصميم المدينة ، اعتماده على النظام التراتبي للكون والموجودات، حيث أنّ هذا النظام ساد في العصور الوسطى، وكان العلم الأساسي فيها هو علم التنجيم ، فالشمس حسب اعتقاده الفلسفي هي «الله» ، والكواكب السيارة التي هي بمثابة قادة الحياة الاجتماعية ، بل إنّ الدولة الشمس تقيم موظفين يحدَّدون ، حسب وضعية النجوم ، الحياة الشخصية للأفراد حيث أنّ الحرية الفردية لا مكان لها في المدينة [٣١].

وتبدو جليّةً المكانة الرفيعة التي أعطاها كامبنيلا للكهنة ورجال الدين في مدينته الفاضلة ، وهو بذلك يبرز دورهم المحوري في صقل القيم والأخلاق والفضيلة للسكان ، فدورهم لا يمثل فقط الوساطة الروحية ، بل يتعداها إلى وساطةسياسية واجتماعية تعمل على نقل تلك القيم والحرص على تتبع معاني الفضيلة.

إن أصحاب المدن الفاضلة كتبوا كتبهم من خلال نطاق حضارتهم، فأفلاطون كتب من خلال ارتباطه بالحضارة اليونانية، وما كان بمدينة أثينا من اضطرابات، والقديس أوغسطينس عنده أن روما هي مدينة الله ، وتوماس مور تعليماته كانت موجهة للإنجليز، فجاءت أعمالهم من واقع اجتماعي حي.

٥- الطور السادس : عصر النهضة

ومن الواضح من الأطوار السابقة أن اليوتوبيات لم تتجه نحوًا معيناً أو اتجاهاً موحداً ، ولم تعتمد اسلوباً واحداً، بل كان للحوار والرواية دور، وللفلسفة والمنطق دور آخر، كما عالجت كل قضايا الإنسانية للبحث عن حياة مثالية فاضلة، لذا اقترحوا كافة الوسائل لتحقيقها «فأفلاطون في كتابة (الجمهورية) اختار حلاً سياسياً ، واختار القديس أوغسطينس حلاً دينياً ، أما توماس مور وفرانسيس بيكون فقد اتجها نحو القانون والنظام ، واتجه اليوتوبيون من مدرسة (روسو) في القرن الثامن العشر إلى الإصلاح الفطري في الإنسان ، وبحث كتاب اليوتوبيا في القرن التاسع عشر عن الحلول الاقتصادية ، وفي القرن العشرين ظهر ما

(٢٩) ينظر:السابق ، صـ ١٠ .
(٣٠) ينظر:السابق ، صـ ١٠ .
(٣١) المدينة الفاضلة عبر التاريخ ، ماريا لويزا برنيري ، ترجمة : عطيات أبو السعود، عالم المعرفة ، العدد 225 ، ديسمبر 1997م ، صـ ٣٧٦.

يـدعى باليوتوبيـات السـلوكية التـي تنـاقش فيهـا سلسلة كاملة من الظروف والطوارئ الاجتماعية ، وأكد فلاسفة اليسار الجديد ومفكروه على قيمة اليوتوبيـا الاجتماعيـة التـي تعكـس إرادة التغييـر والتـي تـنفض الأحـلام والأوهـام ، وتفضـي إلـى الثـورة الاشـتراكية ، وتحمـل صـفة العمـل وفـق الخـط الاشـتراكي للتطـور مـن أجـل التغييـر العقلاني»[٣٢].

يتضـح مـن النصـوص السـابقة أن اليوتوبيـا غطـت جميـع الاتجاهـات السياسـية والاقتصـادية والاجتماعية والتربوية والدينية ، وكان يعنيها في المقام الأول الاتجـاه السياسـي الاجتمـاعي الـذي يعكس إرادة التغيير دون انتظار للأحلام المثالية المؤجَّلـة والأوهـام البعيـدة بـل الثـورة التـي تفضـي إلـى الخـروج مـن أجـل تحقيـق التغييـر، « لقـد حـدثت فـي تـاريخ الإنسـانية ثـورات متعـددة أتـت كحـل للصـراعات والاسـتلابات التـي واجههـا الإنسان تجاه مختلف القوى » [٣٣].

لـذلك حـاول « هـ . ج. ويلـز » فـي روايتـه المسـماة (آلـة الـزمن) ترسـيخ قضـية التحـول ، فالعقل الـذي يتطـابق تمامـاً مـع بيئتـه يعـود آلـة لـيس إلا، فحاجـة الإنسـان للارتقـاء وإلـى التطـور هي الدافع للتطور، والحاجة للتحول هي الباعث على الحول[٣٤].

ثانيـاً: المحـور الثـاني : تأصـيل الظـاهرة عنـد العرب :

إن مـن يتجشـم عنـاء قـراءة ظـاهرة اليوتوبيـا وتوابعهـا مـن ديسـتوبيا ومعـاداة اليوتوبيـا والأيـديولوجيا قـراءةً تـروم التحليـل والنقـد ، سـيجد نفسـه–لا محالـة – أمـام غمـوض أسـطوري وخيـالي يحتضن طقوسا وشعائر أفرزتها افتراضيات يتزايد أتباعها يوما تلو الآخر .

ولا ننكر « أن اليوتوبيا في نظر الكثيرين ، وإن كانت أحلاماً أو أفكاراً وخيالات ، إلا أنها في كثيـر مـن الحـالات عبَّـرت عـن رغبـة فـي تغييـر الواقع القائم وتجاوزه،والحلم بحياة ومجتمع أفضل وأكثر عدلاً مما هو سائد»[٣٥].

لقد حفل تراثنـا العربـي بالعديـد مـن النمـاذج اليوتوبية، وكـان للفلاسفة العرب والمسلمين الحظ الوافر فيها ، كما مرت اليوتوبيا فـي التاريخ العرب بعدة مراحل ، ولقد تجلَّت في هذه الأطوار:

الطور الأول: وهب بن منبه (ت١١٤ هـ) ، في كتابه (التيجان في ملوك حمير) ، وما ذكره عن ذي القرنين، من الرؤى والخيالات العجيبة التي يراها ذو القرنين أو ما ذكره عن أرض الملائكة ...أو أرض قرطبيل ، إذ أنها أشبه بالمدينة الفاضلة التي نادى بها كبار الفلاسفة. وفي هذا الكتاب جاء « ... فلما أتاهم ذو القرنين وجدهم بقرطبيل ، وهم من بني عرجان بن يافث بن نوح ، وجدهم قد سكنوا ...، ووجدهم لا غني فيهم ولا فقير ، ولا قاضٍ فيهم ولا أمير ، ولا ناهٍ فيهم ولا آمر ، ورأى مواشيهم بلا رعاة ، ورآهم

(٣٢) الاغتراب ونشأة المدينة واليوتوبيا، صـ ٦٧–٦٨ .
(٣٣) السابق ، صـ ٦٨ .
(٣٤) السابق ، صـ ٧١ .
(٣٥) ينظر: بين اليوتوبيا والواقع وحلم سلام المستقبل ، عبد الكاظم العبودي ، صـ ١٣٤.

بين النهار في خلاء من الأرض وقفار ، واستغنوا منها باليسير عن الكثير » [٣٦].

تناول في(التيجان،أي الملوك) حديثا مطولاً ، بدأه بأحوال خلق العالم ، وملك حمير وائل بن حمير، وأتم كتابه بالحديث عن تاريخ الكامل لابن الأثير، ذكر فيه أحوال كل ملك ، واسمه ، ورحلاته ، وولايته ، وقصَّ عنه روايات رواها ابن وهب ، وأشعار نادرة قد لا تجدها عند غيره [٣٧].

ولكن الكتاب جاء ضيق الخيال ، ضعيف الفن والصورة ، مألوف السرد والفكر والحكاية ، ربما لا يفد كبير فائدة لقارئ الأدب أو شيئا جديدا ذا غناء أدبي فريد– غير ما ذكرت من مجموعة شعرية نادرة الوجود– ولعلنا نكون أشد إنصافاً للكتاب حين نذكر أنه قصد إلى التأريخ والسِّير قبل أن يقصد الخيال أو الفن أو الأدب .

١- **الطورالثاني:الفارابي فيلسوف العرب (٣٣٩هـ)**،كان من أوائل الفلاسفة المسلمين الذين ألفوا في هذا الميدان، وهو من أعظم الفلاسفة العرب القدماء دون منازع ،وكانت أعماله هي الشرارة الأولى التي أشعلت جميع المسائل والأفكار الفلسفية في العالم العربي الإسلامي حتي اليوم،ويعدُّكتابه(آراء أهل المدينة الفاضلة – من أهم مؤلفاته، ولا ينكر أحد أنه تأثر بكتاب أفلاطون (المدينة الفاضلة) فألَّفه على غراره؛ إلا أنه وظَّف المفهوم الأفلاطوني في سياق إسلامي بحت،عاش في زمن تدهورالدولة العباسية ومراحل الضعف التي حلت بها سياسياً وإداريا واقتصاديا، لذلك لجأ للبحث عن السعادة في الكتابة لطرحها على أرض الواقع المرير .

فهو« لم يمارس الإدارة ولا السياسة عمليا، بل إنه اقترح آراءه الفلسفية لمدينة فاضلة، وهو منعزل في بستان قرب مدينة حلب » [٣٨].

« وفي اليوتوبيا الدينية لا مكان للسمة الإقليمية ولا الهوية الثقافية ، وينقلب الدين على الثقافة المحيطة التي لم يعد ينظر إليها بوصفها مجرد ثقافة دنيوية بل تعتبر ثقافة دينية ، وفي اليوتوبيا الدينية السلوك في الحياة لا معنى له بذاته ، وإنما فقط تبعا للمعنى الذي يخلعه الدين على العالم..... لقد كانت الفكرة القديمة فكرة دينية ، تعتمد المرجعية ، وترى أن العالم الطبيعي ليس ذاتي المحتوى سببياً »[٣٩].

يعد كتابه(آراء أهل المدينة الفاضلة) من أفضل الكتب التي تحدثت عن الفضائل والمثل العليا التي تتعلق بالذات العلية ، تحدث فيه عن الموجود الأول وأنه هو السبب الأول لوجود سائر الموجودات كلها، وأنه تعالى بريء من جميع أنحاء النقص، ونفى عنه تعالى الشريك ، والضدَّ ، والحدَّ، وتحدث عن وحدته وعظمته وكيفية

(٣٦) التيجان في ملوك حمير ، وهب بن منبه رواية ابن هشام،تحقيق ونشر/ مركز الدراسات والأبحاث اليمنية – الجمهورية العربية اليمنية – صنعاء ، ط ١ ، سنة ١٣٤٧هـ ، صـ ١١٢ .

(٣٧) ينظر: السابق ، صـ ٩– ٤٩٩ ، بتصرف كبير

(٣٨) جمهورية أفلاطون ، صـ ٣٧.

(٣٩) الإسلام بين اليوتوبيا والتاريخ،سمير إبراهيم حسن ، و سلطان محمد الهاشمي ، المجلة العربية – لبنان،العدد ٣٣–٣٤ ، سنة ٢٠١٦م ، صـ ١٢٦–١٢٧.(بحث).

صـدور جميـع الموجـودات عنـه ، وذكـر مراتـب الموجودات، والأسماء التـي ينبغي أن يُسمى بهـا ، وتحدث عن المعاني والثواني والأجسام والمادة والصور والحركة والسكون ، وتناول أجزاء النفس الإنسانية وقواها وكيف تصير هذه القوى ، والقوى الناطقة وكيف تعقل وسبب ذلك، وتحدث عن الفرق بين الإرادة والاختيار، والسعادة ، والمنام والـوحي، واحتيـاج الإنسـان إلـى الاجتمـاع والتعـاون، وتحـدث عـن صـفات رئـيس المدينةالفاضلةوخصـاله، ومضـادَّات المدينةالفاضـلة،وتناول الحـديث عـن اتصـال النفوس، وصناعة السعادة ، والقول في الأشياء المشـتركة لأهـل المدينـة الفاضـلة ، وآراء أهـل المدن الجاهلة والضالة ، وختم كتابه بالحديث عن العدل والخشوع والحكمة[٤٠].

٢- حاول الفارابي أن يجعل الحضارة العربية والإسـلامية هـي نطاقـه فـي التـأليف والمرجعية اليوتوبية،وأن هدفه الاجتماعي كان من أجل تحقيق سعادة الفرد والمجتمع على السواء، مع إعطائه صفات أخلاقية يجب أن يتمتع بها حاكم المدينة [٤١]**الطور الثالـث:أبوالعلاء المعـري(٤٤٩هـ)**،ومـا تحمله(رسالة الغفران) ، من آثاره الخالدة، وهـي يوتوبيـا مثاليـة، متخيلـةإلى العـالم الآخر(الجنـة والنـار)،وظهرت بهـا طائفـة كبيرة من النصوص اليوتوبية التي تدعو إلى الفضيلة والأخلاق .

يعالج المعري فيها بعض المشاكل الشائكة التـي ضـاق بهـا عالمـه الـواقعي كالعقـاب والثـواب والغفـران وتناسـخ الأرواح، فضـلاً عـن معالجتـه لكثير من القضايا المثالية .

وكان لرسالة الغفران أثرها البارز في نفوس الكثيرين، وأكدت بعض الدراسات الأدبية المقارنة تأثيرها في الكوميديا الإلهية لدانتي .

وقد حظيت هذه الرسالة ونالت استحسان كثير من النقاد المعاصرين ، كما تميزت بها القيم الجماليـة والروحيـة بوصـفها رمـزاً للعـالم المثـالي الأفضل الذي تتطلع إليه المجتمعات[٤٢].

٣- **الطـور الرابـع:ابن طفيـل (٥٨١هـ)** ورسالته المعروفـة باسـم(حيابن يقظـان)، ألفهـا فـي أسـلوب قصصـي ذي طـابعٍ رمـزيٍّ يحمـل الاتجـاه الصـوفي، يـدعو فيهـا إلـى فلسـفة الإشـراق الروحـي عـن طريـق التأمـل ، وصبغها بصبغةٍ أدبيةٍ قصصية .

وموضوع القصة يتلخص في أن طفلاً اسمه(حـي بـن يقظـان) نشـأ فـي جزيرة من جزر الهند معزولـة عـن العـالم، وقـد ربَّتـه ظبيـةٌ حَنَـتْ عليـه لأنها حسبته رضيعها المفقود، وكبر الطفل وكان ذا موهبة فذة ، فأخذ ينظرويتأمل ويستنتج متدرجاً في المحسوس إلى المعقول ، ومن الجزئيات إلى الكليات حتـى وصـل إلـى تكوين فكرة عن الله ، وعن الملأ الأعلى، ثم أخذ من الرياضة الروحية

(٤٠) ينظر: آراء أهل المدينة الفاضلة ومضادَّاتها ، لأبي نصر محمد الفارابي ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة– القاهرة(د/ ط.ت). صـ ٧– ١٠٦ بتصرف كبير .

(٤١) ينظر: جمهورية أفلاطون ، صـ ٣٩.

(٤٢) ينظر: في اليوتوبيا العربية ، جبار عباس اللامي ، صـ ٢١٨ بتصرف.

حتى وصل إلى طور الولاية ثم شاءت الظروف أن يصل إلى جزيرته عابدٌ متدين يدعى(إبسال) أراد العزلة ليتفرغ للعبادة ، فالتقى به حي بن يقظان وبعد تفاهمهما، وأخذ كل منهما عن الآخر،التزم حي بن يقظان بما ذكره له العابد (إبسال) من شعائر دينيه، وبعد محاولة فاشلة لهداية المدينة التي نشأ فيها العابد التي كان على رأسها (سلامان) صاحب (إبسال)، عاد حي بن يقظان إلى جزيرته، واستقر فيها إلى أن أتاه اليقين [٤٣].

ويشيرد/عبد الرحمن بدوي إلى أن الغاية الرئيسة التي استهدفها ابن طفيل هي بيان اتفاق العقل والنقل،أي اتفاق الدين والفلسفة،وحي بن يقظان هو رمز العقل الإنسان المتحرر من كل سلطة ومن كل معرفة سابقة، ومع ذلك يهتدي إلى الحقائق نفسها التي بها الدين الإسلامي ، فالدين حق،والحق لا يتعدد،ولهذا اتفق الدين والفلسفة،و(إبسال)رمز لرجل الدين المتعمق المتأمل الغواص على المعاني الروحية، و(سلامان) رمز لرجل الدين المتعلق بالظاهر، المتجنب للتأويل، المتوقف عند الأعمال الظاهرة والمعاني القريبة،أما الجمهور فلا يعي إلا الظاهر والحروف،ولا يدرك من معاني الدين شيئاً، وواضح من هذا أن (ابن طفيل) يرتب الناس هذه المراتب الأربع : فأعلاها مرتبة الفيلسوف ، ويتلوها مرتبة عالم الدين البصير بالمعاني الروحانية ، أي الصوفي، ويتلوها مرتبة رجل الدين المتعلق بالظاهر، وهو الفقيه ، وأدناها مرتبة الجمهور في الناس [٤٤].

لقد تركت قصة(حي بن يقظان) أثراً بارزاً في أوروبا ، وحظيت باهتمام كثير من الباحثين والدارسين الأوروبين حتى عصرنا هذا ، وكانت من أعظم مؤلفات أبي بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل الأندلسي، ترمز إلى طلب الإنسان للمعارف بصحبة رفقة الدين والمعارف العليا المستقطبة من الوحي الإلهي، مستعيناً بالعقل الذي يهدي إليها دون الخروج عن حيز الوجود الزمني والوجود الذاتي ، فابن طفيل الاندلسي عالم مسلم ، درس العلوم الدينية والفقهية في بلاد الأندلس قلعة الإسلام في البلاد الغربية

فعلى الرغم من اختلاف الكتب والكُتَّاب في تناول الظاهرة في تفصيلات ومناهج متباينة ، إلا أنها ظلت هدفاً يسعى للوصل إلى أعتابه الكثيرون مع اختلاف مواقفهم من الوجود والحياة.

« لقد حفل التراث الإنساني بعدد وافر من المؤلفات التي تطلعت إلى هذه العوامل المثالية ، ومحاولة إيجاد مجتمعات فاضلة حالمة يسودها العدل والمساواة ابتداءً من جمهورية أفلاطون التي تعد من أكثر الأعمال اليوتوبية تأثيرا باليوتوبيات اللاحقة بها، مرورا بيوتوبيات عصرالنهضة كيوتوبيا سير توماس مور،ومدينة الشمس لتوماسوكامبانيلا، ... ويوتوبيات القرن التاسع عشر،ولعل أشهرها يوتوبيا (رحلة إلى إيكاريا لايتين كابيه)... انتهاءً باليوتوبيات الحديثة كيوتوبيا(الحجرالأبيض لأناتول

(٤٣) ينظر: الموسوعة الفلسفية ، عبد المنعم الحفني ١/ ٥٨ .
وينظر: في اليوتوبيا العربية ، صـ ٢١٧.

(٤٤) ينظر: في اليوتوبيا العربية ، صـ ٢١٨.

فرانس) و(إنسان تحت الأرض لجبرييل تارد) و(السعادة العالمية لسيباستيان فور)... وغيرها من اليوتوبيات الحديثة » [٤٥].

المبحث الثالث:حركات يوتوبية لطوائف وشعراء الجزيرة العربية

حاول الشعراء قديما منذ لجاهلية الأولى البحث عن التغييروالتحول من أجل ضمان تحقيق الاستقرار والأمن، وتحقيق طموح القبائل العربية لتحقيق ذاتيتها أمام القوى العظمى آنذاك المتمثلة في الفرس والروم،ومحاولة الالتحاق بكنف الحضارات وعدم التخلف عن ركب المسير

ولقد مرّت هذه الفترة بعدة حركات من أجل التغيير، جاءت على النحو التالي :

١- الحركة الأولى : لامرئ القيس بن حُجر.

قُتِلَ أبوه(الأمير/حُجر بن الحارث)أحد أمراء إمارة كِندة التي تسكن شمال الجزيرة العربية آنذاك ، في حركة اضطهاد أيام كسرى أنو شروان ، قتله بنو أسد[٤٦].

والأخبار كثيرة ومتفرقة في محاولة امرئ القيس استرداد ملك أبيه ، وتكوين دولة تحمل اسم كِندة ، فإن «بعض المصادرالتاريخية اليونانية ذكرت في صراحة اسم شخص يُدعى امرأ القيس كان من العرب التابعين لملوك الفرس ، وقد جعل يغيرعلى القبائل في شمال الحجاز، ويبسط سلطانه عليها ، وقد استطاع أن يستولي على جزيرة (يوتوبة Iotabe)، ويطرد منها عمال المكوس من الروم ، وعاد فرأى أن يصانع الروم، مخافة غزوهم له، فأرسل إلى بيزنطة أسقف العرب الذين خضعوا لحُكمه(سنة ٤٧٣ م)، ليفاوض قيصرفي أن يعينه حاكماً على جنوب الأردن وساحل خليج العقبة ، ويمنحه لقب فيلارك ، ونجح الأسقف في سفارته ، ودعا القيصر امرأ القيس لزيارة عاصمته ، وبالغ في إكرامه ، وعاد إلى بلاده » [٤٧].

يقول دكتور/مطاع صفدع: « إن الانخراط في عملية تغيير نوعي تستجيب للمشروع الثقافي العربي الذي كانت تستشفه بعض العقول النيرة من رواد التغيير الكبير في مجتمع الصحراء الأكبر، من أمثال الأحناف، وبعض الشعراء الروَّاد من الفرسان كامرئ القيس ،ومن الحكماء كزهير بن أبي سلمى....فامرؤ القيس كان يتطلع إلى بناء الدولة من مجتمع الفرسان بأخلاقهم وقانونهم »[٤٨] .

يعدُّ تمرُّدُ امرئ القيس على وضعه الراهن، ودعوتُه إلى الحشود من أجل التغيير والتحول لاسترداد ملكه الزائل ، وبسطُ سلطانه على بعض القبائل، وانقسامُه عن ملك الروم... أولَ حركات التغيير التي ظهرت على أيدي أشعر شعراء العرب وحامل لوائهم .

٢- الحركة الثانية : الشعراء الأحناف .

كان أمية بن أبي الصَّلت على رأس شعراء الحنيفية، الذي كَبُر على نفسه سجودُ قومِه

(٤٥) السابق ، صـ ٢١٦.

(٤٦) ينظر: الأغاني لأبي الفرج الأصفاني ، تحقيق/ سمير جابر ، ٩/ ٨٢ ، دار الفكر بيروت ، ط٢ .

(٤٧) العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، صـ ٢٤١-٢٤٢، دار المعارف ، الطبعة الثالثة والثلاثون .(د/ ت).

(٤٨) الرسالة بين الإيديولوجيا واليوتوبيا ، مطاع صفدع ، صـ ٧ .

لأصنامٍ يصنعونها بأيديهم، ثم يقدسونها في طوايا نفوسهم ، فلفظتها نفسه كما يلفظ الكير خبث الحديد ، وذلك يرجع إلى عوامل نفسية في أمية وهي عدم إيمانه بما عليه قومه ، كما يرجع أيضا إلى بعض الأخبار التي نستأنس إليها ،« أن أمية كان يرتاد الأديرة والكنائس ويحاور الرهبان والقساوسة ، وربما كان يأخذ عنهم كثيرا من آداب النفس وأسرار الروحانيات » (٤٩).

وذلك يدل على أن أمية كان يبحث عن تغييرحقيق لما عليه قومه،« فلم يجد غير الحنيفية فتحنف، وكانت الحنيفية قد دُرست أكثر معالمها ،ولم يبق منها غيرفكرة التوحيد واجتناب المفاسد الاجتماعية فتحنف » (٥٠).

قال الأصفهاني: « وحرَّم الخمر، وشكَّ في الأوثان ، وكان محققا والتمس الدين » (٥١).

لذلك تظهر اليوتوبيا الدينية في شعره ، فتجده يستخرج عناصر التمدن والحياة من باطن النصوص التي تحمل معنى التقديس التي اكتسبها من حوار القساوسة والأحبار والرهبان ، فتجد إرهاصات معالم الدين الإسلامي قد بدت، دون خضوع النصوص للمؤثرات القبلية أوالموروثة كابر عن كابر ، تلك المحاولات لإحياء التغيير والتحول في قومه وعشيرته، وتطبيق مطلق النص على الواقع،وإعادة ضبط المجتمع بواسطة التأثيروالعاطفة المستنيرة من خطة النص.

فتجده يدعو إلى التوحيد الخالص من الشوائب ، والربوبية المطلقة ، فيقول : (٥٢).

١- إذا قيل من رب هذا

السمافليس سواه له ضطرِبْ

٢- ولو قيل رب سوى ربنا

لقال العباد جميعاًكذِبْ

ويقول أيضا في توحيد الله تعالى وتفرُّده بالألوهية والربوبية : (٥٣).

١- أرباً واحداً أم ألف

ربأدين إذا تقسمت الأمورُ

٢-ولكن أعبُدُ الرحمنَ ربي

ليغفرَ ذنبيَ الرَّب الغفورُ

ويقول أيضاً: (٥٤).

١- وإياك لا تجعل مع الله غيره

سبيل الرشد أصبح باديا

ويقول أيضاً : (٥٥).

١- الحمد لله لا شريك له

من لم يقلها فنفسه ظلما

ويذكر الموت والبعث في مواضع كثيرة من شعره منها : (٥٦).

١- فكن خائفاً للموت والبعث بعد

ولا تَكُ ممن غرَّه اليومُ أوغدُ

(٤٩) شرح ديوان أمية بن أبي الصلت ، قدم له وعلق / سيف الدين الكاتب ، وأحمد عصام الكاتب ، صـ ٧ ، منشورات مكتبة الحياة – بيروت . (د/ ت.ط).

(٥٠) السابق ، صـ ٨.

(٥١)الأغاني ، لأبي الفرج ، ٤/ ١٢٩ ، دارالفكر .

(٥٢) شرح ديوان أمية بن أبي الصلت ، صـ ٢٠

(٥٣) السابق ، صـ ٤٦.

(٥٤) السابق ، صـ ٩١.

(٥٥) السابق ، صـ ٧٧.

(٥٦) السابق ، صـ ٣٦.

ويقول أيضاً: (٥٧).

١- فاجعل الموت نصب عينك واحذر

غَولة الدهر إن للدهرغُولا

ويذكر الجنة والنار وأهلهما، فيقول : (٥٨).

١- وسيق المجرمون وهم عراةٌ

إلى ذات المقامع والنكال

٢- فليسوا ميتين فيستريحوا

وكلهم بحر النار صالِ

٣- وحل المتقون بدار صدق

وعيش ناعم تحت الظلالِ

ويقول أيضا راجيا من الله تعالى جنته : (٥٩).

١- رب لا تحرمني جنة الخلد

وكن رب بي رؤوفا حفيا

ويدعو إلى الطهر وتجنب الخبث ، فيقول : (٦٠).

١- لا تخلطنَّ خبيثاتٍ بطيبةٍ

واخلـــع ثيـــاب وانْـــجُ عريانـــا

وينـه عـن أكـل مـال اليتـيم ، وتعـدِّي الحـدود ، وانتهاز الضعيف ، فيقول : (٦١).

١- ودفعُ الضعيف وأكلُ اليتيم

ونهكُ الحدود فكلٌّ حُرِمْ

وينادي بالسلم والاستسلام لله تعالى فيقول : (٦٢).

١- فما أنابوا لِسلمٍ حين تنذرهم

رسلُ الإله وما كانوا له عَضُدا

ويقول داعيا إلى الكرم والندى والإنفاقوالعطاء: (٦٣).

١- إنَّ التكرمَ والندى من عامر

جدَّاك ما سُلِكَتْ لحجٍ غَزْوَرُ

ويقول أيضاً: (٦٤).

١- وميَّزَ في انفاقه بين مصلحٍ

معايشةً يضرُّ وينفع

٢- إذا اكتسب المالَ الفتى من وجوهه

وأحسنَ تدبيراً له حين يجمع

٣- وأرضى به أهل الحتوف ولم

يضع به الذُّخْرَ زاداً للتي هي أنفع

٤- فذاك الفتى لا جامع المال ذاخراً

لأولاد سوءٍ حيث حَلُّوا وأوضعوا

ويتحدث عن الشجاعة وحماية الأهل والدفاع عن الديار : (٦٥).

١- أنا الذائد الحامي الذمار وإنَّما

يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

ويـذكرآيات الله تعـالى فـي خلقـه للسـماوات والأرض الليل والنهارويرى أن كل دين خلا دين الحنيفية باطل،فيقول وهي تُروى لأبيه أيضاً: (٦٦).

١-إنَّ آيات ربنا باقياتٍ

ما يُماري فيهنَّ إلا الكفورُ

٢- خلق الليلَ والنهارَ فكلٌّ

مستبين حسابه مقدورُ

٣- ثم يجلو النهارَ ربٌّ كريم

بمهاةٍ شعاعُها منشورُ

(٥٧) السابق ، صـ ٥٧.
(٥٨) السابق ، صـ ٦٢.
(٥٩) السابق ، صـ ٩٣.
(٦٠) السابق ، صـ ٨٠.
(٦١) السابق ، صـ ٧١.
(٦٢) السابق ، صـ ٣٧.
(٦٣) السابق ، صـ ٤٦.
(٦٤) السابق ، صـ ٥٠.
(٦٥) السابق ، صـ ٦١.
(٦٦) السابق ، صـ ٤٧.

٤ – كل دينٍ يوم القيامة عنـد

الله إلا ديـنَ الحنيفـة زورُ

ويتحـدث عـن الجهـل والجاهـل، والعلـم والعـالم فيقول : (٦٧).

١ – وقد يقتل الجهل السؤال ويشتفي

إذا عاينَ الأمرَ المهمَّ المعاينُ

٢ – وفي البحث قدما والسؤال لذي

العمى شفاءٌ وأشفى منهما ما تُعاينُ

كانـت هـذه محاولـة مـن الشـعراء المتحنفين علـى وجـه العمـوم ، ومـن أميـة بـن أبـي الصـلت علـى وجـه الخصـوص للتغيير البيئـي ، والتحـول مـن بيئـة جاهليـة تعبـد الأوثـان وتسـجد للأصـنام إلى بيئة تعبد الله تعالى وتوحّده ، وتخاف عذابه ، وتـؤمن بجنتـه ونـاره ، وثوابـه وعقابـه ، تحـب الطهـر ، والكـرم ، والانفـاق ، وحمايـة الجـار ، وتكره أكل مال اليتيم ، والتعدي ، والتسلط ...الخ ، فدعوتـه النيـرة للتغييـر تؤكـد رجاحـة عقلـه ، وتستشـف منهـا حكمتـه، ومـا هـذه الخصـال إلا يوتوبيا حقيقة ودعوة على أرض واقعية .

يقول د/ مطاع صفدع مؤيدا لهذه الحركة: «وفـي الوقـت ذاتـه كانـت طـلاع مثقفـي العـرب الذين عرفوا بالأحناف،يقومون بعملية نقدٍ شامل لمجمـع السلوك الاجتمـاعي والعقائدي السائد في المجتمعات القبلية»(٦٨).

٣- الحركة الثالثة: الشعراء الفرسان: ومنهم الفارس الخالد في أذهان العربية وأسطورتها الأولى عنترةُ بنُ شداد العبسي،أهم فرسان العرب الذين طارت شهرتهم بالفروسية والشجاعة، ومثلهم الأعلى في البسالة والبطولة القتالية ، ونلاحظ بصفة عامة« أن الفروسية الجاهلية بعثت في نفوس أصحابها ضرباً من التسامح والإحساس بالمروءة الكاملة...وردَّدِ البصرَ في أشعار عنترة فستجده يأسرلُبَّك بمثله الخلقية الرفيعة »(٦٩).

يذكرعنترة العنصرية التي كانت مسيطرة على الجزيرة العربية في العصر الجاهلي، ولكنه كان مصوناً بعفته وشجاعته فيقول : (٧٠)

١ – لَئِنْ أكُ أَسوَداً، فَالمِسكُ لَوْنِي

وَمَا لِسَوادِ جِلْدِي مِنْ دَوَاءِ

٢ – وَلكِنْ تَبْعُدُ الفَحشَاءُ عَنِّي كَبُعدِ

الأَرضِ عَنْ جَوِّ السَّمَاءِ

ويؤكد هذا المعني قائلاً : (٧١)

١ – لَئِنْ يَعِيبُوا سَوَادِي فَهْوَ لِي نَسَبٌ

يَوْمَ النِّزَالِ، إِذَا مَا فَاتَنِي النَّسَبُ

ويقول في التسامح وحسن المخالطة والمعاشرة إذا لم يظلم :(٧٢)

١ – أَثْنِي عَليَّ بما عَلِمْتِ فَإِنَّنِي

سَمْحٌ مُخَالَقَتِي إِذَا لَمْ أُظْلَمِ

---

(٦٧) السابق ، صـ ٨٠.

(٦٨) الرسالة بين الإيديولوجيا واليوتوبيا ، مطاع صفدع ، صـ ٧ (بحث).

(٦٩) العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، صـ ٣٧١.

(٧٠) شرح ديوان عنترة للخطيب التبريزي ، قدم له وعنى به / مجيد طراد ، صـ ٢٢ ، دار الكتاب العربي ، ط١ ، سنة ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

(٧١)السابق ، صـ ٢٥.

(٧٢) السابق ، صـ ١٦٧.

ويتحدث عن الإيثاروكرم الطباع،فيقول في معلقته: (٧٣)

١- يُخبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الوَقَائِعَ أَنَّنِي
أَغْشَى الوَغَى وَأَعِفُّ عِندَ المَغْنَمِ

ويصف المروءة الكاملة، مروءة مطرَّزة بالعفة والعفاف ، فهو لا يرزأ ولياً محافظاً على حسبه واصلاً لرحمه شيئاً من ماله إلا جزاه أضعافاً، ويزور الفتاة واصلاً لرحمه ما دام حليلها معها ، فإذا خرج غازياً لم يغشها محافظةً عليها وصيانة لعرضها، يغضُّ بصره إذا بدت له جارته حتى تدخل منزلها فيواريها، ولا يُتْبعها بصره،وإذا هَوَتْ نفسُه ما يكون فيه غضاضة عليه ولجَّتْ في إرادته مَنَعها منه ولم أيتبعها ، فيقول:(٧٤)

١- وَلَمَا رَزَأْتُ أَخَا حِفَاظٍ سِلْعَة
إِلَّا لَهُ عِنْدِي بِها مِثْلاها

٢- أَغْشَى فَتَاةَ الحَيِّ عِنْدَ حَلِيلِها
وَإِذَا غَزَا فَي الجَيْشِ لا أَغْشَاهَا
٣- وأَغُضُّ طَرْفِي مَا بَدَتْ لِي جَارَتِي
حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي مَأْوَاهَا
٤- إِنّي امْرُؤ سَمْحُ الخَلِيقَةِ مَاجِدٌ
لا أُتْبِعُ النَّفْسَ اللَّجُوجَ هَوَاهَا

فالعفة والشجاعة، والإيثار والتسامح ، وعدم الظلم وحسن المعاشرة ، وغض البصر صفات نادى بها الشعراء الفرسان،وهذه الصفات كانت إرهاصا من الفرسان لظاهرة اليوتوبيا التي تعني التحول من بيئة يملأها الظلم وسوء المعاشرة وعدم الإيثار والتطلع للمرأة واتباع النفس هواها إلى البحث عن بيئة تملأها سلوكيات خلقية سامية .

فأدب الفروسية يعتبرأدباً عابراً يحمل الهوية الفردية لطائفة من المجتمع الجاهلي، ينبض برؤية ذات ارتدادات متواصلة نحو مناطق مجهولة داخل النفس الإنسانية في مجتمع يوصف بالجاهلية ،فيقترح يوتوبيات حالمة موازية للعالم المتحضروالمجتمع المثالي،فهو يحاول السيطرة على بعض صفات وسلوكيات مفقودة عبر مجتمع مندفع نحو السعي إلى معية الحياة، فمثَّل أدباً عميقاً لهذه الحالات المتضاربة وكشف عنها ، ليعيد بناء مسار الحياة الجاهلية .

ولكن كان للواقع رأي آخر، فطائفة الفرسان لا تعين على تغيير إرادة مجتمع بأكمله ، ولكنها تُنكر فقط،أما فكرة الإقناع فما زالت مترددة في نفوس المجتمع، لذا« لم تصبح الفروسية فروسية حربية فحسب، بل أصبحت فروسية خلقية سامية، فيها الحب الطاهرالعفيف الذي يجعل من المحبوبة مثلا أعلى، والذي يرتفع صاحبه عن الغايات الجسدية الحسية إلى غاية روحية تنم عن صفاء النفس ونقاء القلب، وفيها التسامي عن الدنايا والنقائص الذي يملأ النفوس بالأنفة والإباء والعزة والكرامة والحس المرهف والشعور الدقيق »(٧٥).

٤- الحركة الرابعة: الشعراء الحكماء،وعلى رأسهم زهيربن أبي سلمى، الذي عاش خلال الحروب التي حمي وطيسها بين عبس وذبيان ، ونشبت نيرانها بين القبائل والعشائر

(٧٣) السابق ، صـ ١٧٢.
(٧٤) السابق ، صـ ٢٠٨-٢٠٩.
(٧٥) العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، صـ ٣٧٤.

وهو من أشهر شعراء الجاهلية في إعطاء الحكمة،وعُرف في حياته بالرصانة والتَّعقل، وهو شخصية متميّزة من شخصيات العصرالجاهلي شخصية فيها برٌّ ورحمة ، وفيها نزعة قوية إلى الخير، آراؤه ليست إلَّا من أوليات التفكير الإنساني وتفكيرالشعب لأنه كان يكلِّمه فيها بما يعرف ويألف [٧٦].

ولقد دعا إلى التغييرفي أقوله وأشعاره ، وقسَّم أسس العدل ثلاثة أقسام ، وبيَّن أن القضاء لابد أن يُبنى على ثلاث(يمين على المنكر، أومنافرة إلى حاكم يحكم بالبيِّنة ، أوجلاء وهو بيان وبرهان يجلو به الحق وتتَّضحُ به الدَّعوى) ، فيقول : [٧٧].

١- وإنَّ الحقَّ مَقطَعُهُ ثلاثٌ

يمينٌ أو نِفارٌ أوجلاءُ

٢- فَذَلِكُمُ مَقَاطِعُ كُلِّ حَقٍّ

ثَلاثٌ ، كُلُّهُنَّ لَكُمْ شِفَاءُ

مما دعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يتعجب من هذين البيتين ويقول:« لو أدركت زهيراً لولَّيْتُه القضاء لمعرفته » [٧٨].

وجاء في الشعر والشعراء:« لوأن زهيراً نظر في رسالة عمربن الخطاب إلى أبي موسى الأشْعَري ما زاد على ما قال»[٧٩].

ويتحدث عن التقوى وصلة الرَّحِم وأن الله هو المنجِّي من العثرات ، فيقول: [٨٠].

١- ومِنْ ضَرِيبَتِه التَّقوى، ويَعْصِمُهُ

مِنْ سَيِّءِ العَثَرَاتِ اللهُ ، والرَّحِمُ

ويتحدث عن البخل والجود والعفاف والإيثار، فيقول : [٨١].

١- إنَّ البَخِيلَ مَلُومٌ ،حَيثُ كَانَ

وَلكنَّ الجَوَادَ،عَلى عِلَّاتِه،هَرِمُ

٢- هُو الجَوادُ، الذِي يُعطِيكَ نَائِلَهُ

عَفْواً، ويُظْلَمُ أَحيَاناً فَيَظَّلِمُ

وكان زهير يتعفف في شعره ، ويدعو إلى الإيمان بالله وبالبعث والحساب :[٨٢].

١- فَلا تَكتُمنَّ اللهَ مَا فِي نُفُوسِكُمْ

لِيخفَى وَمَهمَا يُكتَمُ اللهُ يَعْلَمِ

٢- يُؤَخَّرْ فَيوضَعْ فِي كِتَابٍ فَيُدَّخَرْ

لِيَوْمِ الحِسَابِ أو يُعجَّلْ فَيُنقَمِ

---

(٧٦) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، صنعه / أبو العباس ثعلب ، قدم له وعنى به/ حنا نصر الحتي ، صـ ١٦ ، دار الكتاب العربي – بيروت ، سنة ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٤ م (د/ ط).

(٧٧) السابق، صـ ٨٢، وفيه(النِّفار: أن يتنافروا إلى الحاكم ، رجلٍ يحكم بينهم . والجلاء : أن ينكشف الأمرويتجلي . واليمين).

(٧٨) كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري ، تحقيق/ علي البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، صـ ٣٤٢ ، ط ١، سنة ١٣٧١هـ- ١٩٥٢ م ، دارإحياء الكتب العربية عيسى الحلبي.

(٧٩)الشعروالشعراء لابن قتيبة ، قدم له / حسن تميم ، راجعه/ محمد عبد المنعم الريان ، صـ ٧٥ ، دار إحياء العلوم – بيروت ، ط٣ ، سنة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

(٨٠) ينظر: شرح ديوان زهير، صنعة/ ثعلب ، صـ ١٣٠، وجاء فيه (ضريبته: طبيعته . يعصمه: يمنعه)

(٨١) ينظر: السابق ، صـ ١٢٨، وجاء فيه (أي يُطلبُ إليه في غير موضع الطلب ، فيَجمِلُ ذلك إليهم ، وقال ثعلب سمعت أعرابياً ينشد" ويُظْلَمُ أحْياناً فَيَتْظَلِمُ ")

(٨٢) ينظر: السابق ، صـ ٤٢.

يقول دكتور شوقي ضيف: « وإذا صحت نسبة البيتين إليه،كان دليلاً على أنه أحد مَن تحنفوا في الجاهلية وشكّوا في دينهم الوثني» (٨٣).

وجاء في كتاب(المحبر) أنه ممن حرموا في الجاهلية على أنفسهم الخمر والسكر والأزلام (٨٤).

ومما سبق يتضح أن زهيرا ممن دعوا إلى التغييرفي البيئة الجاهلية، كما أنَّ الأيام التي عاشها زهيرلم تكن أيام استقراروأمن، فدائما تُشنُّ الغارات،وتجيش القلوب بالأضغان، فتُسلُّ السيوف،وتقطع الرقاب..فكيف تنتهي هذه السلسة من القتل والدمار؟لا سبيل إلا بقتل الهوية الأخيرة، أي قتل مبدأ القتل، والبحث عن بديل آخر... ومن هنا راح زهير ينادي بالسِّلم والسَّلام والحب والجمال، مشيداً بهرم بن سنان والحارث بن عوف حين سعيا للصلح بين عبس وذبيان ، فيقول مُناديا بالسلم والصلح : (٨٥).

١- يَمِيناً لَنِعمَ السَّيِّدَانِ وُجِدْتُما
عَلَى كُلِّ حَالٍ مِن سَحِيلٍ ومُبْرِمِ
٢- تَدَارَكْتُما عَبْساً وذُبْيَانَ ب
عدَماتَفَانُوا وَدَقُّوا بِينَهُم عِطْرَ مَنْشِمِ
٣- وَقَدْ قُلتُما أنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ واسِعاً
بِمالٍ ومَعرُوفٍ مِن الأمْرِ نَسْلَمِ
٤- فَأَصْبَحتُمَا مِنهُما عَلَى خَيرِ
مَوْطِنٍ بَعِيدَينِ فِيهَا مِن عُقُوقٍ ومَأْثَمِ
٥- عَظِيمَينِ فِي عُلْيَا مَعَدٍّ ،
هُدِيْتُمَا ومَنْ يَستَبِحْ كَنْزاً مِنَ المَجْدِ يَعْظُمِ

يقول د/مطاع:« أما زهير فإنه في دعوته إلى إحلال السلام بين القبائل كان يتصورإمكانية قيام مجتمع تحكمه علاقات الأخوة والتساوي، فإن إلغاء الحرب بين القبائل يتطلب إحلال نظام جديد تتنازل فيه القبائل عن شيء من امتيازاتها الخاصة من أجل تنمية مصالح جماعية تأتي في أساس إنشاء الدولة » (٨٦).

وتأكيداً لما حاول زهير القيام به من حلمه بالتغييرودعوته إلى السلام بين القبائل، يقول الجنرال الألماني"فون مولتكة ": « ...إن السلام حلم، ولكنه مع ذلك حلم جميل ... ومن الصعب تحقيقه، بل إن السلام في حد ذاته صراع من نوع ما من أجل التمييز،وأثمن ما يمتلكه الإنسان هوروحه الوثابة ، وإرادته للحياة، وشعوره بالكرامة ،ولا يمكن أن يقوم سلام إلا بتوازن القوى،هذاالتوازن الذي يتغيردائماً بتغييرالظروف؛ لذلك لابد من الأخذ بنظر الاعتبار توازن المصالح على المدى البعيد» (٨٧).

ويقولد/شوقي ضيف عن زهير:« وجعلته هذه المآثر يشيد بالسلم والسلام ، فكان بذلك شذوذاً على ذوق الجاهليين وأشعارهم التي تدوّي بفكرة الأخذ بالثأروالترامي على الحرب ترامي الفراش على النار»(٨٨).

(٨٣) العصرالجاهلي ، شوقي ضيف ، صـ ٣٠٣.

(٨٤) ينظر: المحبّرلأبي جعفر محمد بن حبيب ، رواية / أبي سعيد السّكري ، عنى به دكتورة / إيلزة ليختن شتيتر ، دار الآفاق الجديدة – بيرو (د/ ط.ت)صـ ٢٣٧-٢٣٨ .

(٨٥) شرح ديوان زهير ، صنعة/ ثعلب ، صـ ٤٠-٤١.

(٨٦)الرسالة بين الأيديولوجيا واليوتوبيا ، صـ ٧.

(٨٧) بين يوتوبيا الواقع وحلم سلام المستقبل ، عبد الكاظم العبودي ، صـ ١٣٢.

(٨٨) العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، صـ ٣٠٨.

والأدلة على ديمومة الثأر بين العرب كثيرة ، منها قول تأبط شراً : [٨٩].

١- ثَأَرتُ بِه بِما اقتَرَفَتْ يَدَاهُ
فَظَلَّ لَهَا بِنَا يَوْمٌ غَشُومُ

٢- نَحِزُ رِقَابَهُمْ، حَتَّى نَزَعْنَا
وَأَنْفُ المَوْتِ مَنْخِرُهُ رَمِيْمُ

فزهير يدعو إلى السلام بين القبائل والتحول من حياة القتل والثأر إلى حياة السلم والأمن والوداعة بين القبائل التي يجب أن تنتشرفيها المحبة والرحمة بديلا من القسوة والكراهية ، ومن ثم راح يصور بشاعة الحرب في صور مخيفة قبيحة ، فالحرب أسد ضار، ونار مشتعلة ، ورحى تطحن الناس،ولا تلد إلا غلام الشؤم ، فيقول:[٩٠].

١- وَمَا الحَربُ إلَّا مَا عَلِمتُم وذُقتُم
ومَا هُوعَنهَا بِالحَديثِ المُرَجَّمِ

٢- مَتَى تَبْعَثُوهَا، تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَةً
تَضْرَ، إذَا ضَرَّيَتُمُوهَا فَتَضْرَمِ

٣- فَتَعْرُكْكُمُ عَرْكَ الرَّحَى بِثِفَالِهَا
وتَلْقَحْ كِشَافاً ثُمَّ تَنْتَجْ فَتُتْئِمِ

٤- فَتَنْتَجْ لَكُم غِلمانَ أَشْأَمَ ،
كُلُّهُم كَأَحْمَرِعَادٍ ثُمَّ تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ

«ومن خلال معلقة زهير بن أبي سلمى تدل القراءة الحديثة على هذه السلسلة الطويلة من الأوصاف السلبية التي صوَّر الشاعر من خلالها آثار ومعاني ذلك الشكل من الصراع الحربي العقيم الذي يقتل الإنسان ويدمرالمجتمع ولا يخرج منه أحد منتصراً،ولكنه يشغل الجميع بهموم الموت المعمم المستمر»[٩١].

فكان زهير على خلفية كبيرة بالوقائع والأحداث، فلجأ إلى تقنية مغايرة لم يعتدها العرب ، فنادى بالسلام بين أيام العرب التي كانت سجالا بينهم ، يضمد جراحهم ، ويصوِّر إيثارهم وكرمهم ، فيقول:[٩٢].

١- وإنْ أَتَاهُ خَلِيْلٌ ، يَوْمَ مَسْأَلَةٍ
يَقُولُ: لَا غَائِبٌ مَالِي، وَلَا حَرِمُ

يقول د/ شوقي ضيف:« وهو شاعرالخير بدعوته إلى السلام ، وبما رسمه للفضيلة من مُثُلٍ»[٩٣].

« لقد كان حدس زهيربن أبي سلمى يلخص في حينه أزمةَ الوعي العربي لدى الطلائع الثقافية ، فكان يرى إلى الحروب القبلية القائمة هنا وهناك، فلا يجد فيها سوى الصراع السياسي العبثي المجرد عن أي مضمون ذي صلة بالمشروع الثقافي » [٩٤].

«فدعوة السلام بين القبائل التي وعاها زهيرتتكامل مع دعوة الأحناف للتوحيد في العبادة للإله الواحد ، وتمهيدان معاً للمناخ الرسولي

(٨٩) ديوان تأبط شرا وأخباره، تحقيق/ على ذو الفقار شاكر ، صـ ٢٠٣ ، دار الغرب الإسلامي ، ط١ ، سنة ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤م.
(٩٠) شرح ديوان زهير ، صنعة/ ثعلب ، صـ ٤٢-٤٣.
(٩١) الرسالة بين الأيديولوجيا واليوتوبيا ، صـ ٧.
(٩٢) شرح ديوان زهير، صنعة/ ثعلب ، صـ ١٢٩ ، وفيه (الخَلِيلُ من الخَلَّة : الفقير، والحَرِمُ : المنع ، أي ليس لمالي مَنْعٌ عَنكَ).
(٩٣) العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، صـ ٣٣٢.
(٩٤) الرسالة بين الأيديولوجيا واليوتوبيا ، صـ ٨.

السياسي،الذي سيضطلع به النبي محمد في حمله للواء الرسالة الإسلامية »[٩٥].

٥- **الحركة الخامسة: الشعراء الصعاليك**،على الرغم أنه لا يكاد ينكر أحد أن وظيفة الصعاليك الأساسية وهدفها يتمثلان في تحقيق المساواة ورفع الظلم، فإننا لا نتصورفي الوقت الحاضر على الإطلاق أنها كانت مجرد نشاط يُفْضِي إلى خيال أوواقع مستحيل، فمن شأنها أن تسبغ مدلولاً يفعل تفاوضاً بشأن التباين البعيد لمعنى اليوتوبياومفهومها محيلاً إياها إلى مجموعة مستمدة من الواقع الجاهلي، ومستوحاة من بيئته ومجتمعه،وتبدأ عملية البحث والنقاش مدفوعة ببواعث وصياغة تنطوي على تفعيل ذلك على أرض الواقع؛ لذلك أفردتُ لها مبحثاً لاختلافها عن سابق الحركات .

المبحث الرابع

اليوتوبيا في شعر الصعاليك

قضى هؤلاء الصعاليك جُلَّ حياتهم في محاربة الفقر وممارسة الكديّة من أجل الحصول على الحرية والخروج من قبضة القبيلة، فما قام به الصعاليك من تملُّق وصراع وغارة يقودون بها ثورة تجديدية في مجتمعهم،يؤمنون معها بالتفاؤل واستطلاع الأمل، يحاولون النهوض الثوري إلا أن أدواتهم وقدرتهم لم تحقق السبيل .

في مثل هذا المجتمع المأساوي يؤدّى الاستبداد والاستعباد إلى التمرّد والمغامرة والانحراف عند فئةٍ تشتهر بالخلعاء والصعاليك، وعلى وفق نظرية أدلر « يسعى هؤلاء إلى الحصول على السموّ لتحقيق التفوق والكمال؛ لكن المجتمع المستبد، قد هاجم عقلهم وروحهم كي تتغلب عليهم الدونية »[٩٦].

إن النظام العام عند طائفة الصعاليك قوامه صراع سلوكي ضد الأغنياء البخلاء في صورة جيش تحفيزي مهمته إشباع غرائز الفقروالفاقة والمقاومة مع انعدام الأمن المجتمعي والمعاناة والاجتهاد، لم يكن بلا شك لينجح لولا الشجاعة والفتوة والمروءة التي تميز بها هؤلاء ، بالإضافة إلى إسعاف بعض الأمراء كعروة بن الورد وغيره له ، ورغم نجاح هذه الحركة إلا أنها لم تجذب أيّاً من المريدين، بل على العكس فقد أدَّت إلى شعور القارئ بالضيق أحياناً؛لفقدان المنطق والواقعية ووجود الشر، ويرى" مور" أن :« السب بفي وجود الشرهو سبب اجتماعي،والسبب الأساسي المحدد لكل ذلك هوالملكية الخاصة » [٩٧].

ونتساءل هنا عن السلبية،وكيف نفصح عن سلبية المجتمع الجاهلي تجاه الظلم والقهر والفقر والعبودية والشر من الرأسماليين... هل هي افتقاد الإرادة أو افتقاد القدرة أو خوف الاختراق والتحول من سيّءٍ إلى الأسوأ، لوفكر العربي– وهو يمتلك الشجاعة والمروءة–في اختراق العالم الظالم القاهر المستعبِد إلى عالم آخر نظامي يحمل صفات

(٩٥) السابق ، صـ ٧.

(٩٦) موسوعة علم النفس ، أسعد رزوق ، مراجعة :عبدالله عبد الدايم، ط ٣، المؤسسة العربية للدارسات والنشر، بيروت ، ١٩٨٧ م ، صـ ٢٨٥.

(٩٧) يوتوبيا ٩/ ١١، التماس العالم الجديد ، مؤلف/ مورجان نيكول شوارتز، ترجمة / سعاد الطويل ، صـ ٦٨ ، مجلة ديوجين – مصر ، العدد ٢٠٩ ، سنة ٢٠٠٧ م.

الحق والعدل والمساواة لاستطاع ، وكان له الحق في عصيان الطقوس الجاهلية التي ورثها كابرعن كابر...فكانت الصعلكة هي الباب الأول .

كان يعيش الصعاليك واقعاً مؤلماً، وظل ما فرضوه قائماً حقبة من الزمن كعمل سياسي مُوقَد، يحشدون من الدلالات ما يؤهل للخروج والانتماء لهم، إلا أن الأدوات المستخدمة من قتل ونهب وإرهاب وغارة أضعفت قدرتهم على التلاحم المجتمعي؛ لأنها كانت قاصرة عن المخطط ذات فجاج في التكوين، فظهرت معاداة اليوتوبيا،وباتت الظاهرة في نظر الصعاليك مزاولة طائفية تعجز عن تحقيق ثورة كاملة ، فتصارعت القيم والمعايير تتأرجح بين الرجاء والخوف واليأس والأمل،مما يعانيه الجاهلي من أزمات نفسية وسيولوجيا حقيقية دون أساطير أو ثقافة خارجية غير مهضومة .

فالصعاليك مجموعة من المجتمع الجاهلي خرجوا من الروابط القبلية والاجتماعية طوعًا أو كرهًا، وتبنوا القوة والغزو من أجل تحقيق أهدافهم المتمثلة في مساعدة الفقراء أمثالهم، أو الانتقام من أصحاب السلطة الذين يعيشون على الظلم والقهر والاستبداد للفقراء الضعفاء،أوالبحث عن (المدينة الفاضلة).

وهذا بسب ما فعلته الطَّبقِية في العصر الجاهلي،التي سعت إلى إغلاق آمال البشر وجعلتهم رهائن لفكر سبَّبَ فوضى اجتماعية وحروباً بين القبائل، بيد أن هذا الفكر الطَّبقي تبدَّد عندما فتح الشعراء الصعاليك الآفاق من خلال بث دوافع طوباوية تحث الناس على رفض تلك الأفكار والممارسات العنصرية، وكان ذلك من أهم دوافع الخروج على القبيلة،ورفض الظلم الاجتماعي الذي يقع على أفراد القبيلة... وغيرها.

عاش الصعاليك أقوياء أشداء، يسكنون الجبال، قليلوالنوم، كثيرو العدووالحركة، يجيرون المستغيث ، يسمعون صراخ الأخرس، لا يُظلم من استجاربهم، موصوفون بثبات القدم، تلقاهم عند الشدائد والكُرَب، لهم في الحروب والغارات سهم وافر، يفكون كل مغلق، يقتحمون القبائل ، ويحتملون الأثقال ، ويصبرون على طول الإيغال ، يثورون ويتمردون .

إن هذه الحياة الثائرة على المجتمع والمتوحشة التي عاشها الشعراء الصعاليك لم تمنعهم من التحلي بأفضل القيم الاجتماعية السائدة في المجتمعات الجاهلية،يقولد/ الحوفي: إن في قلوبهم شجاعة ، وفي أجسامهم قوة وفتوة ، وهم لهذا كله يثورون على النظام المالي(٩٨).

فمازال هؤلاء الصعاليك يسعون لحياة جديدة في مجتمعهم تؤمن بالمساواة والعدالة وعدم الظلم ، وهذا الشعر يعد من الأدب التقدمي،« وهو الأدب الذي يعبر عن أفكار القوى النامية في مجتمع ما » (٩٩).

قال السياب:«أما خصائص هذا الأدب فهي التفاؤل والثقة في المستقبل والإيمان بالإنسان

(٩٨) الحياة العربية في الشعر الجاهلي ، أحمد الحوفي ،صـ 323،مكتبة النهضة– مصر ،١٩٥٢م

(٩٩) بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره ، إحسان عباس (ت١٤٢٤هـ) ، صـ ٢٢٩ ،الطبعة: الرابعة، دار الثقافة، بيروت – لبنان ، ١٩٧٨ م .

واحترامه كفرد وكمجموع ، وتفهم حقيقة الروابط التي تربط الأفراد.»[١٠٠].

ولعل أصدق مثال: ما في شعرعروة بن الورد من قيم وفضائل تبناها ودعا إليها في شعره مما جعله موضع إعجاب من قبل الدارسين قديمًا وحديثًا، وهوما دفع معاوية بن أبي سفيان أن يقول :)لو كان لعروة ولد لأحببت أن أتزوج إليهم[١٠١].

وحمل عبد الملك بن مروان على أن يقول: ما يسرُّني أن أحدًا من العرب ولدني ممن لم يلدني إلا عروة بن الورد لقوله: [١٠٢].

١- إني أمرؤٌ عافي إنائي شِرْكةٌ

وأنت امرؤٌ عافي إنائِك واحدُ

فهويعبرعن معنى إنساني رفيع، فيقول هاجياً: إنني يشركني كثيرون من السائلين وذوي الحاجة في إنائي ، أما أنت فلا شريك لك .

وإن كان عروة هو مقررالمبادئ وأبو الصعاليك، فإن الشنفرى صاحب اللامية،قد جعلها حافلة بالقيم الفاضلة، فكان الخلفاء يحرصون على تعليمها أولادهم.

هذه هي بعض قيم الصعاليك، ولكنهم جميعًا اتفقوا على هذه القيم وحاولوا أن يظهروا بها، إذ أنهم دائمًا ما يحاولون الظهور بمظهرالسيد المفتخر بأفضل القيم والداعي إليها.

يقول عفيف عبد الرحمن: لم تبرز حركة متمردة على التقاليد كتلك التي برزت وأعني حركة الصعاليك[١٠٣].

ويقول أحمد سويلم: كان شعر الصعاليك أول ثورة واقعية متمردة في الشعر الجاهلي[١٠٤].

ثم إن حال هؤلاء الصعاليك الباحثين عن الفضيلة ليزداد سوءًا كلما قارنوا حالهم بحال الساسة من أفراد القبيلة المترفين في النعمة والمال يستأثرون بخيرها، ويقصرونه عليهم، ولا يلتفتون إلى غيرهم، ومع ذلك يتمتعون بأنفة وسلطة عارمة تمنعهم من طلب المساواة .

فالصعلوك ليس فقيرًا خاماً يظهر يائسًا مستسلمًا، بل الفقير المقاوم الذي يكثر الغزو ، والشجاع المقتدر على مواجهة الواقع بقوة ، يقول عروة يمدح الصعلوك المغامر : [١٠٥].

١- ولكنَّ صعلوكاً ، صحيفة وجهه

كضوء شهاب القابس المتنور

٢- مُطِلًّا على أعدائه يزجرونه

بساحتهم، زجرَ المنيح المشهر

- **بواعث اليوتوبيا عند الشعراء الصعاليك:**

ولا يغيب أن الصعاليك كانت لديهم دوافع للبحث عن اليوتوبياأو(المجتمع المثالي) ، ويمكننا حصرهذه الدوافع التي أفصحوا عنها في أشعارهم، وبرروا بها خروجهم من ربقة القبلية

(١٠٠) السابق ، صـ ٢٢٩-٢٣٠.

(١٠١) ديوان عروة(أمير الصعاليك)، تحقيق / أسماء أبو بكر محمد ، صـ 9، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤١٨ هـ -1998 م..العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، صـ ٣٨٤.

(١٠٢) ديوان عروة بن الورد ، صـ 9 . العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، صـ ٣٨٤.

(١٠٣) الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديمًا وحديثًا .د .عفيف عبد الرحمن، ص 19 دار الفكر، عمان 1977 م.

(١٠٤) شعرنا القديم رؤية عصرية ، أحمد سويلم ، صـ2 المجلس الأعلى للثقافة- مصر 1979 م.

(١٠٥) ديوان عروة بن الورد ، صـ 69 .

والعصبية ،وتمردهم المتكررعلى القبائل والقوافل... فيما يلي

أولا :محاربة الفقر:

الفقر هوالقاسم المشترك الذي يجمع أفراد القبيلة مع كل الصعاليك ، فكل صعلوك فقير . حتى عروة سيدهم كان فقيرًا) .

« تتردد في أشعارهم جميعاً صيحات الفقر والجوع ،كما تموج أنفسهم بثورة عارمة على الأغنياء والأشحاء » (١٠٦).

فدافع اليوتوبيا في هذا العنصرهو البحث عن مجتمع مثالي خال من الفقر والفقراء، من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية ، والقضاء على الجوع والفاقة والخلة.

ولقد عان الشعراء الصعاليك مما عان منه مجتمعهم، ولقد غلب على موضوعات شعرهم الحديث عن الفقر، وصبغوه بلون جديد يدعوإلى الخروج والتمرد والدفاع، فلا نكاد نجد شعر أحدهم يخلو من ذكر الفقر والإملاق والعسر وضيق اليد، ومن ذلك قول عروة مخاطبًا زوجته: (١٠٧).

١- زريني أطوف في البلاد لعلني

أفيد غنى فيه لذي الحق محملُ

٢- أليس عظيماً أن تلِم ملمِة

وليس علينا في الحقوقِ معَولُ

٣- فإن نحن لم نملك دفاعًا بحادث

تلم به الأيام،فالموت جملُ

فعروة بن الورد يذكر ما يعانيه وأصحابه الفقراء من لدغات الجوع وآلامه في معظم قصائده ، ويعلن دعوته لكل الفقراء بالنهوض للثورة وتغيير حياتهم بالقوة، ويرى أنها أفضل طريقة لكسب العيش، وإلا فالموت خير لهم من مد يد المساعدة لأصحاب المال والسلطة من الأغنياء، فيقول : (١٠٨).

١- إذا المرءُ لم يبعث سواماً ولم يُرح

عليه، ولم تعطِفْ عليه أقاربه

٢- فللموت خير للفتى من حياته

ومن مولى تدُبُّ عقاربه

وأبو خِراش يعد بالغزو لإطعام أهله ، وإلا فعليهم بالإمساك عن الطعام ، فيقول: (١٠٩).

١- فإنَّ غدًا إن لا نجِد بعضَ

زَادنا نُفِئْ لَكِ زَادًا أو نُعَدِّكِ بِالأَزْمِ

والسليك بن السلكة يرى أنه يغزواضطرارًا ، فقد جاء في الأغاني أنه أملق حتى لم يبق له شيء ، وتذكر له قصة أغار فيها على حي بني شيبان ومعه رجلان، فبعد أن ظفر بالغنيمة أنشد: (١١٠).

١- وما نلتها حتى تصعلكتُ حقبةً

وكدتُ لأسبابِ المنيةِ أُعرفُ

٢- وحتى رأيت الجوع بالصيفِ ضرني

إذا قمت تغْشَاني ظلالٌ فأسدفُ

وأبو خراش يرثي أخاه عروة ، ويرى أنه مات وهو يحاول دفع فقره وجوعه ، فيقول : (١١١).

---

(١٠٦) العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، صـ ٣٧٥ .

(١٠٧) ديوان عروة، تحقيق / أسماء أبو بكر، صـ 97 .

(١٠٨) السابق ، صـ 48 .

(١٠٩) ديوان الهذليين، القسم الثاني، صـ 125 ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ط٢ ، ١٩٩٥م.

(١١٠) الأغاني: 18 / 182 ، مطبعة دار الكتب المصرية، 1929 م.

(١١١) ديوان الهذليين، القسم الثاني، صـ 158 .

١ – ولكنَّه قَد نَازعتْه مَخامِصٌ

على أنَّه ذُو مِرَّةٍ صَادقُ النَّهضِ

ويركزالصعلوك في شعره على نقد الرأسمالية التي ظهرت في العصر الجاهلي عند السادة وأصحاب السلطة والأغنياء، العاملة على فقدان الناس لأي دافع يحثهم على استلهام مجتمع مثالي.

المجتمعات الجاهلية ، يقول د/ الحوفي : إن في قلوبهم شجاعة ، وفي أجسامهم قوة وفتوة ، وهم لهذا كله يثورون على النظام المالي(١١٢).

فمازال هؤلاء الصعاليك يسعون لحياة جديدة في مجتمعهم تؤمن بالمساواة والعدالة وعدم الظلم ،وهذاالشعر يعد من الأدب التقدمي،«وهو الأدب الذي يعبر عن أفكار القوى النامية في مجتمع ما » (١١٣).

قال السياب:«أما خصائص هذا الأدب فهي التفاؤل والثقة في المستقبل والإيمان بالإنسان واحترامه كفرد وكمجموع ، وتفهم حقيقة الروابط التي تربط الأفراد.»(١١٤).

ولعل أصدق مثال: ما في شعرعروة بن الورد من قيم وفضائل تبناها ودعا إليها في شعره مما جعله موضع إعجاب من قبل الدارسين قديمًا وحديثًا، وهوما دفع معاوية بن أبي سفيان أن يقول :)لو كان لعروة ولد لأحببت أن أتزوج إليهم(١١٥).

وحمل عبد الملك بن مروان على أن يقول: ما يسرُّني أن أحدًا من العرب ولدني ممن لم يلدني إلا عروة بن الورد لقوله: (١١٦).

١ – إني أمرؤٌ عافي إنائي شِرْكةٌ

وأنت امرؤٌ عافي إنائِك واحدُ

فهو يعبرعن معنى إنساني رفيع، فيقول هاجياً: إنني يشركني كثيرون من السائلين وذوي الحاجة في إنائي ، أما أنت فلا شريك لك .

وإن كان عروة هومقرر المبادئ وأبو الصعاليك، فإن الشنفرى صاحب اللامية، قد جعلها حافلة بالقيم الفاضلة، فكان الخلفاء يحرصون على تعليمها أولادهم.

هذه هي بعض قيم الصعاليك، ولكنهم جميعًا اتفقوا على هذه القيم وحاولوا أن يظهروا بها، إذ أنهم دائمًا ما يحاولون الظهور بمظهرالسيد المفتخر بأفضل القيم والداعي إليها.

يقول عفيف عبد الرحمن: لم تبرز حركة متمردة على التقاليد كتلك التي برزت وأعني حركة الصعاليك(١١٧).

ويقول أحمد سويلم: كان شعر الصعاليك أول ثورة واقعية متمردة في الشعر الجاهلي(١١٨).

---

(١١٢) الحياة العربية في الشعر الجاهلي ، أحمد الحوفي ،صـ 323،مكتبة النهضة– مصر ،١٩٥٢م

(١١٣) بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره ، إحسان عباس (ت١٤٢٤هـ) ، صـ ٢٢٩ ،الطبعـة: الرابعـة، دار الثقافـة، بيروت – لبنان ، ١٩٧٨ م .

(١١٤) السابق ، صـ ٢٢٩–٢٣٠.

(١١٥) ديوان عروة(أمير الصعاليك)، تحقيق / أسماء أبو بكر محمد ، صـ 9 ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤١٨ هـ - 1998 م..العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، صـ ٣٨٤.

(١١٦) ديوان عروة بن الورد ، ـ 9 . العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، صـ ٣٨٤.

(١١٧) الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديمًا وحديثًا .د .عفيف عبد الرحمن، ص 19 دار الفكر، عمان 1977 م.

ثم إن حال هؤلاء الصعاليك الباحثين عن الفضيلة ليزداد سوءًا كلما قارنوا حالهم بحال الساسة من أفرادالقبيلة المترفين في النعمة والمال يستأثرون بخيرها، ويقصرونه عليهم، ولا يلتفتون إلى غيرهم، ومع ذلك يتمتعون بأنفة وسلطة عارمة تمنعهم من طلب المساواة .

فالصعلوك ليس فقيرًا خاماً يظهريائسًا مستسلمًا، بل الفقيرالمقاوم الذي يكثرالغزو، والشجاع المقتدر على مواجهة الواقع بقوة ، يقول عروة يمدح الصعلوك المغامر : (١١٩).

١- ولكنَّ صعلوكاً ، صحيفة وجهه

كضوء شهاب القابس المتنور

٢- مُطِلًّا على أعدائه يزجرونه

بساحتهم، زجرَ المنيح المشهر

- **بواعث اليوتوبيا عند الشعراء الصعاليك:**

ولا يغيب أن الصعاليك كانت لديهم دوافع للبحث عن اليوتوبيا أو(المجتمع المثالي) ، ويمكننا حصر هذه الدوافع التي أفصحوا عنها في أشعارهم، وبرروا بها خروجهم من ربقة القبلية والعصبية، وتمردهم المتكررعلى القبائل والقوافل... فيما يلي

أولا :محاربة الفقر:

الفقر هوالقاسم المشترك الذي يجمع أفراد القبيلة مع كل الصعاليك، فكل صعلوك فقير . حتى عروة سيدهم كان فقيرًا) .

« تتردد في أشعارهم جميعاً صيحات الفقر والجوع ،كما تموج أنفسهم بثورة عارمة على الأغنياء والأشحاء » (١٢٠).

فدافع اليوتوبيا في هذا العنصرهو البحث عن مجتمع مثالي خال من الفقر والفقراء، من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية، والقضاء على الجوع والفاقة والخلة.

ولقد عان الشعراء الصعاليك مما عان منه مجتمعهم، ولقد غلب على موضوعات شعرهم الحديث عن الفقر، وصبغوه بلون جديد يدعوإلى الخروج والتمرد والدفاع ، فلا نكاد نجد شعر أحدهم يخلو من ذكر الفقر والإملاق والعسر وضيق اليد، ومن ذلك قول عروة مخاطبًا زوجته: (١٢١).

١- زريني أطوف في البلاد لعلني

أفيد غنى فيه لذي الحق محملُ

٢- أليس عظيماً أن تلِم ملمِة

وليس علينا في الحقوقِ معَولُ

٣- فإن نحن لم نملك دفاعًا بحادث

تلم به الأيام،فالموت أجملُ

فعروة بن الورد يذكر ما يعانيه وأصحابه الفقراء من لدغات الجوع وآلامه في معظم قصائده ، ويعلن دعوته لكل الفقراء بالنهوض للثورة وتغيير حياتهم بالقوة، ويرى أنها أفضل طريقة لكسب العيش، وإلا فالموت خير لهم من مد يد المساعدة لأصحاب المال والسلطة من الأغنياء، فيقول : (١٢٢).

(١١٨) شعرنا القديم رؤية عصرية ، أحمد سويلم ، صـ2 المجلس الأعلى للثقافة- مصر 1979 م.

(١١٩) ديوان عروة بن الورد ، صـ 69 .

(١٢٠) العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، صـ ٣٧٥ .

(١٢١) ديوان عروة، تحقيق / أسماء أبو بكر، صـ 97

(١٢٢) السابق ، صـ 48 .

١ – إذا المرءُ لم يبعث سواماً ولم يُرح

عليه، ولم تعطِفْ عليه أقاربه

٢ – فللموت خير للفتى من حياته

ومن مولى تدُبُّ عقاربه

وأبو خِراش يعد بالغزو لإطعام أهله ، وإلا فعليهم بالإمساك عن الطعام ، فيقول: (١٢٣).

١ – فإنَّ غدًا إن لا نجِد بعضَ

زَادنا نُفِئْ لَكِ زَادًا أو نُعَدِّكِ بِالأَزْمِ

والسليك بن السلكة يرى أنه يغزواضطرارًا ، فقد جاء في الأغاني أنه أملق حتى لم يبق له شيء ، وتذكر له قصة أغار فيها على حي بني شيبان ومعه رجلان، فبعد أن ظفر بالغنيمة أنشد: (١٢٤).

١ – وما نلتها حتى تصعلكتُ حقبةً

وكدتُ لأسبابِ المنيةِ أُعرفُ

٢ – وحتى رأيت الجوع بالصيفِ ضرني

إذا قمت تغْشَاني ظلالٌ فأسدفُ

وأبو خراش يرثي أخاه عروة ، ويرى أنه مات وهو يحاول دفع فقره وجوعه ، فيقول : (١٢٥).

١ – ولكنَّه قَد نَازعتْه مَخامِصٌ

على أنَّه ذُو مِرَّةٍ صَادقُ النَّهضِ

ويركزالصعلوك في شعره على نقد الرأسمالية التـي ظهـرت فـي العصـرالجاهلي عنـد السـادة وأصحاب السلطة والأغنياء، العاملة على فقدان النـاس لأي دافـع يحـثهم علـى اسـتلهام مجتمـع مثالي.

ويمكننا أن نضيف إلى هؤلاء عروة ، وأبا خراش ، وعمرو ذا الكلب من كاهل الذي كان يغزو قبيلة فهمٍ ، ويتوعدهم بأنه سيغزوهم وسيؤذيهم ببأسه وبطشه، فيقول: (١٢٦).

١ – فإما تَثْقَفوني فاقتلوني

وإن أَثْقَف فسوف تَرونَ بَالي

٢ – فأبرَح غَازياً أَهدِي رَعِيلاً

أَوُمّ سَوادَ طَوْدٍ ذِي نِجَالِ

ولقد تداخلت الدوافع في تكوين شخصيات أولئك الشعراء، وشكلت ما يسمى(بيوتوبيا الصعاليك)، فلقد نظموا قصائدهم داخل هذا الإطار، ودعموا بها مواقفهم ، وكشفوا فيها عن يوتوبيا خفية عند العرب آنذاك ، قد يمكن أن تظل خفية المعالم إلى يومنا هذا.

مدحهم قدامة بن جعفر « بما سلكوه من الإقدام والفتك والتشميروالجلد والتيقظ والصبر، مع التخرق والسماحة ، وقلة الاكتراث للخطوب الملمة » (١٢٧).

ثورة الصعاليك ضد قبائلهم وضد الظلم وغياب العدالة الاجتماعية في المجتمع البشري،وانتشار العبودية،لم يكن عملاً طوباوياً حالماً بل ممارسة واقعية اعتمدت على دوافع طوباوية، ولم تسعَ تلك الثورة إلى رسم مجتمع

(١٢٣) ديوان الهذليين، القسم الثاني، صـ 125 ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ط٢ ، ١٩٩٥م.

(١٢٤)الأغاني: 18 / 182 ، مطبعة دار الكتب المصرية، 1929م.

(١٢٥) ديوان الهذليين، القسم الثاني، صـ 158 .

(١٢٦) ديوان الهذليين ،القسم الثالث ، صـ 114 .

(١٢٧) نقـد الشـعر، قدامـة بـن جعفر،صـ ٢٨– ٢٩ ، مطبعـة الجوائب– قسطنطينية ، ط١، ١٣٠٢هـ

مثالي خيالي بل صوَّرت اليوتوبيا باعتبارها ممارسة واقعية .

ثالثاً : رفض الظلم والتبرم من ظلم الأقربين :

ظهرت بواعث رفض الظلم الاجتماعي، والتبرم من الواقع في شعر الصعاليك في ممارستهم للخروج على القبيلة، ذلك الخروج وتبني فكرة الرفض كانتا من أهم الدوافع التي يعتمد عليه الشاعر الصعلوك، وكذلك ممارستهم للخروج كممارسة واقعية كانت باعثاً يحث الناس على البحث عن العدالة والمساواة .

فالشنفرى يستهل لاميته بيأسه من بني أمه وأهله، ويعلن خروجه وتمرده ، وعدم رضاه بالضيم والذل على نفسه، ويقررالرحيل عن بني جلدته، كما يحث الضعفاء منهم على الخروج والرحيل إلى مجتمع آخر وبيئة أخرى، فهولا يتحمل الذل والمهانة ، فرحيله إلى مكان بعيد أفضل من احتمال الأذى والمذلة، فبالأرض متسعٌ لصاحب الحاجات والآمال والمخاوف يضرب في أطرافها مبتعدًا عنهم موفور الكرامة سالمًا من الأذى، بل واختار مجتمعاً آخرحراً وبيئةً أخرى خاليةً من الظلم وعدم العدل ، مجتمع الوحوش وبيئة الصحراء هم الأهل الحقيقيون؛لأنهم يأبون الذل والضيم، ويحفظون السر، ولا يخذل بعضهم بعضاً ، موصوفون بالشجاعة والبسالة بل وهو أبسل منهم وأجشع : [١٢٨].

١- أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُمْ
فَإِنِّي إِلَى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمْيَلُ

٢- فَقَدْ حُمَّتِ الحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مُقْمِرُ
وَشُدَّتْ لِطِيَّاتٍ مَطَايَا وَأَرْحُلُ

٣- وَفِي الأَرْضِ مَنْأَى لِلكرِيمِ عَنِ الأَذَى
وفِيهَا لِمَنْ خَافَ القِلَى مُتَعَزَّلُ

٤- لَعَمْرُكُ مَا بِالأرضِ ضِيقٌ عَلى امْرِئٍ
سَرَى رَاغِباً أَوْ رَاهِباً وَهوَ يَعْقِلُ

٥- وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ: سَيِّدٌ عَمَلَّسٌ
وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْئَلُ

٦- هُمُ الأَهْلُ لا مُستُودَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ
لَدَيهِمْ وَلا الجَانِي بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ

٧- وَكُلُّ أَبِيٍّ بَاسِلٌ غَيْرَ أَنَّنِي
إِذَاعَرَضَتْ أُوْلَي الطَّرَائِدِ أَبْسَلُ

ويعلن عروة هو الآخر خروجه وتمرده على القبيلة،فالفجاج واسعة، منكرا على الأهل والقبيلة فعالهم ، فيقول : [١٢٩].

١- وَسَائِلَةٍ أَيْنَ الرَّحِيلُ ؟ وَسَائِلٍ
ومَنْ يَسأَلُ الصُّعلُوكَ: أَيْنَ مَذاهِبُه

٢- مَذاهِبُهُ أَنَّ الفِجَاجَ عَرِيضةٌ
إِذَا ضَنَّ عَنْهُ، بِالفِعَالِ أَقَارِبُه

إن رفض الصعاليك للظلم والتبرم من الأقارب،جعل أعمالهم الشعرية تحمل طاقة إيجابية تفتح ما أغلقته الإيديولوجيا، فالظلم الاجتماعي والتفرقة بين أفراد القبيلة ممارسةٌ إيديولوجية تسعى إلى إغلاق المجتمع، ولكن خروج الصعاليك على قبائلهم وحثهم على تلك الممارسة في شعرهم يعطي نصوصهم الإبداعية طاقة إيجابية تكافح

(١٢٨) ديوان الشنفرى، تحقيق/ إميل بديع يعقوب أ صـ ٥٨-٥٩ ، دار الكتاب العربي- لبنان ، ط٢، سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

(١٢٩) ديوان عروة بن الورد ، صـ ٤٨ .

الطاقة السلبية الإيديولوجية التي تتحكم في المجتمع.

رابعاً : الإيثار والكرامة .

حينما ننظرإلى مطالب الصعاليك باعتبارها دوافع نحومجتمع طوباوي يحقق شروط الحياة المثالية، تلك المثالية التي حاول الصعاليك إيجاد بواعثها في حركة التاريخ العربي من المجتمع الجاهلي التي تحكَّمت فيه إيديولوجيا العنصرية والتخلف الاجتماعي والظلم ... للبحث عن مجتمعٍ ينفتح فيه ذلك الانغلاق الإيديولوجي لتبرزبواعث اليوتوبيا والمجتمع الإنساني المثالي، لذلك كان الإيثار من أهم مطالبهم .

وفي شعر الصعاليك ظهر الإيثار كباعث للحصول على مجتمع مثالي، حيث أكد الشعراء على أهمية الإيثار في نظمهم، وعمل تصويرهم الشعري للإيثاركدافع للناس نحو العيش في مجتمع مثالي ، يقول الشنفرى : (١٣٠).

١- وإنْ مُدَّتِ الأَيْدِي إِلَى الزَّادِ لَمْ
أَكُنْ بِأَعْجَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ القَوْم أَعْجَلُ

٢- وَمَا ذَاكَ إِلَّا بَسْطَةٌ عَنْ تَفَضُّل
عَلَيْهِمْ وَكَانَ الأَفْضَلَ المُتَفَضِّلُ

٣- وَإِنِّي كَفَانِي فَقْدَ مَنْ لَيْسَ جَازِياً
بِحُسْنَى وَلا فِي قُرْبِهِ مُتَعَلَّلُ

وراح الشنفرى يحدثنا عن عزة نفسه وتهذيبها وأدبها الذي يسمو بها، وكيف أنه يبتعد عن سؤال الأغنياء،فهو يستف تراب الأرض علىأن يمدَّ أحدٌ إليه يده بفضل أولقمة يمنَّ بها عليه،فيقول : (١٣١).

١- وَأَسْتَفُّ تُرْبَ الأَرْضِ كَيْلَا يُرَى لَهُ
عَلَيَّ مِنَ الطَّوْلِ امْرُؤٌ مُتَطَوِّلُ

فإننا نحس عندهم بالترفع والإيثاروالشعور بالكرامة في الحياة، يصوِّر ذلك أبوخِراش الهذلي ، فيقول:(١٣٢).

١- وَإِنِّي لأُثْوِي الجُوعَ حَتَّى يَمَلَّنِي
فَيذهَبَ لَمْ يَدْنَسْ ثِيَابِي وَلا جِرْمِي

٢- وَأَغْتَبِقُ المَاءَ القَرَاحَ فَأَنتَهِي
إِذَا الزَّادُ أَمْسَى للمُزَلَّج ذَا طَعْمِ

٣- أَرُدُّ شُجَاعَ البَطنِ قَد تَعلَمِينَه
وَأُوثِرُ غَيرِي مِن عِيَالِكِ بِالطُّعْم

٤- مَخَافَةَ أَنْ أَحْيَا بِرَغْمٍ وَذَلَّةٍ
وَلَلمَوتُ خَيْرٌ مِن حَيَاةٍ عَلَى رَغْمِ

فأبو خراش يحدث زوجته بكريم خصاله وعفة نفسه ، وهو صاحب النفس العفيفة وكيف أنه يصبر على آلام الجوع حتى يمله الجوع ويذهب عنه ويتركه موفور الكرامة غير شاعر بمذلة، وأنه يؤثر عيالها بالطعام ويكتفي بشرب الماء البارد، حتى لا يوصم بعار الذل في قومه.

ولا شك أن هذا الشعور - بالكبرياء والعزة – هو مما دفعهم للخروج على قبائلهم ، وحال بينهم وبين التماس العون والمساعدة من الأغنياء، فأخذوا يفتخرون بتعففهم وصبرهم على الجوع وإيثار غيرهم بالطعام عندما يكونون أحوج الناس إليه، فكأنهم

(١٣٠) ديوان الشنفرى ، تحقيق / إميل يعقوب ، صـ ٥٩-٦٠.

(١٣١) السابق ، صـ ٦٢ .

(١٣٢) ديوان الهذليين ، القسم الثاني ١٢٧-١٢٨، دار الكتب المصرية .

أرادوا أن يوجهوا هذه الأبيات إلى البخلاء من الأغنياء ، فيذموهم بشُحهم وأنهم أحقَّ بالتعظيم والتبجيل منهم، فالسيادة تتأتى بمكارم الأخلاق بما فيها من قِرى الأضياف والإحسان إلى الجيران وغيرها من الخِلال والصفات الحميدة التي تصنع مجتمعاً مثالياً يكون قوامه مكارم الأخلاق ، وهي قمة اليوتوبيا ، ومن ذلك قول عروة أيضاً :

١- مَا بِالثَّراءِ يَسودُ كُلُّ مُسوَّدٍ
مُثرٍ، وَلكِنْ بِالفِعَالِ يَسُودُ
٢- بِل لِا أُكاثِرُ صَاحِبي فِي يُسرهِ
وَأَصُدُّ إِذ فِي عَيشِه تَصرِيدُ
٣- فَإِذَا غَنيتُ ، فَإِنَّ جَاري نَيلُهُ
مِن نَائِلِي، ومَيسُرِي مَعهُودُ
٤- وَإِذَا افْتَقرتُ ، فَلن أَرَى مُتخَشّعاً
لأَخِي غِنى، مَعرُوفُه مَكدُودُ

وقد اشتهرعروة بن الورد بكرمه وإيثاره غيره على نفسه، وقد ورد في الأغاني قول عبد الملك بن مروان :" من زعم أن حاتما أسمح الناس فقد ظلم عروة ابن الورد "(١٣٣).

فلا شك أن الإيثار والكرامة تؤكد مطالب الصعاليك بحياة اجتماعية يسودها الأخلاق والمكارم ، مما يؤكد مستوى بطولي متفرد عند هذه الطائفة، تبدو قيمته في تبرير السلوك الأخلاقي عندهم،ورفضهم للقهر الواقع على المجتمع،فعروة حين رفض أن يكون الثراء هو أساس السيادة،حاول أن يجعل للسيادة بديلاً آخر يتمثل في الأخلاق، فينل جاره من نيله ولا يرى متخشعاً لغنى بخيل ، فالنص يكشف عن الواقع وما فيه من مفارقة، ويكشف عن رفض الشاعر لهذا الواقع ومعاناته منه، ولم يلمس فيه ما يسمى بالتكافل الاجتماعي .

ونجد الكثير من المعاني التي تشير إلى الثقة بالنفس، ورفض الذل والهوان في شعرعروة: (١٣٤).

١- إِذَا آذَاك مَالكٌ، فَامتَهِنهُ
لجَادِيه، وإِنْ قَرعَ المرَاحُ
٢- وإِنْ أَخْنَى عَليكَ ، فَلمْ تَجدْهُ ،
فَنَبتُ الأرضِ وَالمَاءُ القرَاحُ
٣- فَرغمُ العَيشِ إلفُ فَنَاءِ قَومٍ
وإن آسَوْكَ ، والموتُ الروَّاحُ

أي إذا أراد الإنسان أن ينتصرعلى الزمان والمكان فعليه بالصبروالثبات، ورفض كل ما مِن شأنه يستذله، فالطبيعة هي الملاذ الذي يلجأ إليه الإنسان الرافض للذل، وما كل الناس يكتفون بنبت الأرض والماء رفضاً لأي ذل، فالإنسان عليه أن يختار، والاختيار رفض وقبول لأنه يقوم على المفاضلة .

ثم أن فقرهم ووضاعة أنسابهم لن يكونا سببًا في هوان منزلتهم الاجتماعية، فكانوا يتعففون من القيام بالأعمال الهامشية التي تُوكل إلى العبيد والموالي،وهذا من ظاهر قوتهم الشخصية وكرامتهم ، فالشنفرى يرفض أن يكون راعيًا بإبله في الصحراء فيهلكها على غير علم : (١٣٥).

١- وَلَسْتُ بِمِهْيَافٍ يُعَشّي سَوَامَه
مُجَدَّعَةً سُقْبَانُهَا وَهْيَ بُهَّلُ

(١٣٣) الأغاني ٣/ ٧٣ ، دار الفكر .

(١٣٤) ديوان عروة بن الورد ، صـ ٥٣.

(١٣٥) ديوان الشنفرى ، تحقيق / إميل يعقوب ، صـ ٦١.

ويرى أنه لا يقل مكانة عن أشراف قومه، طالما أنه يتمتع بهذه النفس الثائرة على الدونية ، الرافضة للهوان المتوثبة للمعالي.

وتأبط شرًا هو الآخر يأبى أن يكون راعياً، يصلح المال على يده، ويأبى أن يؤنف (يورد) إبله المراعي الجديدة ، فيقول : (١٣٦).

١- وَلَسْتُ بِتِرْعِيٍّ طَوِيلٍ عَشَاؤُهُ
يُؤَنِّفُهَا مُسْتَأْنَفَ النَّبْتِ، مُبْهِلِ

وصخرالغي يقررحريته ويرى أنه رجل يملك عصمة أمره وليس مملوكًا، وأنه لا يقبل ضيمًا يأتي به أحد ، فيقول : (١٣٧).

١- فَلَسْتُ عَبْداً لمُوعِدِيّ وَلا
أَقبَلُ ضَيْماً يَأتِي بِه أَحَد

ويقول تأبط شرا، مخاطباً الذئب لما عوى وصاح ، إن شأننا قليل ، فلا غنى لك عني ولا غنى لي عنك ، أنت تطلب منى وأنا أطلب منك : (١٣٨).

١- فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا عَوَى، : إنَّ "ثَابتاً"
قَلِيلُ الغِنَى إنْ كُنْتَ لَمَّا تَمَوَّل

فهذا البيت يدل على إحساسه بغيره ، وشعوره بالمحتاج ولو كان غير إنسان .

ومن هنا نلمس هذا التعالي والاعتزاز بالنفس، إنهم لن ينزلوا عن هذا الإباء ليشبعوا ويعيشوا أذلاء مظلومين، ولن يكونوا تحت رحمة البخلاء من الأغنياء، ويتعرضوا لإهانة المجتمع ، وتصغر مكانتهم ما دامت فيهم تلك النفوس الأبية، المشرئبة للمعالي، المتوثبة للمجد.

وفي هذا السياق يؤكد الصعاليك على أهمية الإيثارفي بناء المجتمع البشري دليلاً على تأثير بواعث اليوتوبيا في شعرهم التي تكفل حق الفقير قبل الغني وحق الضعيف قبل القوي.

وعلى المستوى الفني، يمكن اعتبار البناء الشعري عند الشعراء الصعاليك باعثاً طوباوياً يوحي بتوحيد المجتمع وبث روح التكافل الاجتماعي بين أفراده، وكأن الشعراء الصعاليك يقولون:(إن الوحدة الاجتماعية يمكن للناس الحصولُ عليها في مجتمع مثالي) :

١- فلقد نادى الشعراء الصعاليك في أشعارهم بالوحدة الموضوعية والعضوية، مما يؤكد ثورتهم وخروجهم على البنية القديمة للقصيدة محاكاة لثورتهم وخروجهم على مجتمعهم وبيئتهم .

٢- تقتضى وحدة القصيدة عند الصعاليك التماسك والترابط بين أبيات القصيدة كالجسد الواحد، وهي دعوتهم في بناء مجتمع مثالي يتميز بالتماسك والترابط والتحاب؛فتتحقق المثالية في المجتمع فتكون اليوتوبيا أو الطوباوية .

٣- كما يلاحظ في أشعار الصعاليك ولا سيما أشعار الشنفرى وتأبط شرا والسليك .. وغيرهم ألفاظاً بعيدة وحوشية غريبة ، مما يدل على غربتهم وإحساسهم بالوحشة والاغتراب في مجتمعهم ، وهم يعيشون بين أقاربهم وأفراد بيئتهم .

(١٣٦) ديوان تأبط شرا وأخباره ، تحقيق / علي ذو الفقار ، صـ ١٧٦.

(١٣٧) ديوان الهذليين ، القسم الثاني ، صـ ٦١ .

(١٣٨) ديوان تأبط شرا ، تح/ ذو الفقار، صـ ١٨٣.

٤- يغلب على أشعارهم النتف والمقطَّعات ولا سيما شعر عروة والسليك وصخر الغي وغيرهم ، مما يدل على حياتهم المشتتة بين القبلية تارة وبين البيد والوحوش تارة أخرى .

٥- قلة أشعار المرأة في أشعارهم مما يدل على كبيرانشغالهم بأمرالثورة والخروج على المجتمع والتمرد على كافة أفراده ومنهم المرأة ،وإن كانت هي مصدر الحب والعاطفة والشعور لبني الإنسان .

كل ذلك التطور يظهر تأثير ذلك البناء الشعري غير المألوف عند الجاهليين في شعر الصعاليك كدلالة توحي بتطور التاريخ في المجتمع الجاهلي .

ومع محاولة الصعاليك وتمردهم على القبلية إلا أنهم لم ينكروا أموراً كثيرة عاشها المجتمع الجاهلي ، مثل شرب الخمر، وقضية الثأر، والمرأة ،.....وهذه الأمور وغيرها تتغلغل في عمق حياتهم اليومية وتؤثر فيهم، وهذا يؤكد وجود الديستوبيا في أشعارهم وحياتهم أيضا بجانب اليوتوبيا التي ظهرت في التمرد والخروج على البخل،والفقر ،والضعف ...ووجود كل هذه الأحداث المتعارضة أدخل الصعلوك في صراع سلوكي يرتضي بعض الأمور دون غيرها ، ويؤكد وجود شحنة انفعالية عظيمة تشكل حياتهم وتنمو في جلدتهم الاجتماعية يوما بعد يوم دون غيرهم من أفراد المجتمع الجاهلي .

فإننا لا ننكرأن حركة الصعاليك يوتوبيا واقعية ، ولكنها كانت مقصورة على القلة ، القلة التي لا تنفصل بالنسبة لأغلب الناس عن اللايوتوبيا أو معاداة اليوتوبيا ؛ لأنها مرتدية أقنعة القتل والنهب والسلب التي لا تصلح أن تكون نظاماً للمجتمع ، فكان لابد من ظهور نظام شامل متكامل ، فكان الإسلام ، وهو الحركة السادسة ، ولقد أفردت لها مبحثاً

المبحث الخامس: عهد النبوة

حين تشرع في الحديث عن عهد النبوة فلابد أن تتملكك الحيرة ويبلغ بك التردد كل مبلغ ، فمن أين تبدأ ؟، وإلام تنتهي؟وهل بإمكان لمحاتك العاجلة أن تحتوي إنسانيات هذا العهد الفذ الذي غيَّر البيئة الجاهلية والجزيرة العربية والدنيا والبرِيَّة من مجتمع فردي متوحش إلى مجتمع جماعي متآلف ؟ .

« فدعوة السلام بين القبائل التي وعاها زهير تتكامل مع دعوة الأحناف للتوحيد في العبادة للإله الواحد، وتمهدان معا للمناخ الرسولي السياسي معا، الذي سيضطلع به النبي محمد في حمله للواء الرسالة الإسلامية، ومع الإسلام اتَّحدت السياسة بالرسالة، وصارعلم تنظيم حياة الشعوب يتجاوز حسابات المصالح القبلية أو القومية » (١٣٩).

فاليوتوبيا التي جاء بها الصعاليك قد راعت أموراً وتركت أخرى ، فكانت إجراءاتهم غير قادرة على التغييروالتحوُّل تحولاً كاملاً ، فمحاولتهم قائمة على مسار واحد وإن كانت تخدم المجتمع إلا أن أساسها عندهم هو الحقد والكراهية للأغنياء البخلاء لذلك كان مصيرها الزوال ؛ لأن كل سياسة تُعلن الحرب على الكينونة المجتمعية دون

(١٣٩) الرسالة بين الأيديولوجيا واليوتوبيا ، مطاع صفدع ، صـ ٨.

تنظيمات اجتماعية أوسياسية تظهر قدرتها على التغيير ، فهي بمثابة خلق إرهاب يُشيع العنف ويولّد الدمار أحياناً ، لذا تجد منهم الغارات والقتل والثأر دون تمييز محقق ، ولكننا لا ننكر أن حركة الصعاليك كانت النواة الأولى للتغيير الحقيقي القائم على الثورة والتمرد ، ولكنها كانت يوتوبيا مضادة Untopia ؛ لأنها ممارسات عنصرية ، فكان لابد من ظهور يوتوبيا حقيقية ، تعارض مفهوم المركزية والسيادة الظالمة ، وتطرح مفهوم اتحاد عالمي للجماعات والأمم الحرة ، يستطيع الفرد والمجتمع أن يعبروا عن شخصياتهم وثقافاتهم دون الخضوع لرقابة ظالمة أواضطهاد وفق مقاسات خاصة وأغراض سابقة، بل يحكم العالم قانون أخلاقي قائم على القناعة دون التمايز العنصري فكان الدين الإسلامي وحركته القائمة على المساواة والإيثاروالتوحيد ....الخ.

«ما اليوتوبيات الأقدم عهداً ، فإن أبعدها خيالاً ، كان ينطوي على إحساس بإشكالية الطبيعة الإنسانية ، تقوم فرضية الخطيئة الأصلية على واقعة ازدواج الطبيعة الإنسانية ، فقدرات صُنع الخير، وابداء الغيرية ، وصُنع الشر، واظهار الأنانية والعنف ، كلها صفات ترتبط بالإنسان، إنسان كل العصور ، تعبر الأديان السماوية عن فرضية الخطيئة الأصلية من خلال قصة آدم ، وآدم مخلوق من طين الأرض ، ومن نفخة الله في روحه، أي أن طبيعته التكوينية قائمة على استعدادات مشتركة للخير والشر ، عبَّر عن هذه الرؤية الإسلامُ في آيات قرآنية عديدة ، قال تعالى:﴿ ☐◆☼♦⌨⬀◼➔❑✍☠ ☐◆✂☞③⬂◆❷⬀❸☊ ... ﴾(١٤٠)، وقوله تعالى :﴿ ☐◆✌♦☞ ... ☎✂✡⑨☒➘ ﴾(١٤١)، وقوله تعالى :﴿ ☐◆♐♦⬀ ... ♎➔⑨☐♑☐☞ ﴾(١٤٢)، وقوله تعالى :﴿ ☐◆✌♦☞☐◆☼♦⊞⬂▪🖫 ... ☐◆✍♦☽⬂❑◆☐♑☐☞ ﴾(١٤٣)،

ومهما تكن التفسيرات التي أعطيت لفرضية تفاحة آدم ، فإن لها معنى أساسياً يكمن في انتقال الإنسان من السماء إلى الأرض، من الحلم إلى الواقع ، ومن الصفاء إلى عالم يشوبه الفساد والانحلال الأخلاقي، وقد نجد الأساس الواقعي الذي تقوم عليه هذه الانتقالة في فرضية الكينونة المزدوجة للطبيعة الإنسانية،أو قد نجدها في استحالة انسجام القيم في هذا العالم الذي يقع تحت دائرة إدراكنا ، فبعض القيم أو المثل العليالا يستطيع

(١٤٠) سور الأنبياء ، الآية ٣٥ .

(١٤١) سور لقمان ، الآية ٣٤ .

(١٤٢) سور السجدة ، آية ١٣.

(١٤٣) سور الشمس، الآيتان ٧ ، ٨.

إلا أن يتعارض بعضها مع بعضها الآخر، كما أ نَّ فكرة الكُل المتكامل، أو الحل النهائي،أوالجنة التي تتعايش في إطارها كل الأمورالخيرة ، هي فكرة غير قابلة للتحقق . وبعض الفضائل الكبرى لا يستطيع أن يتعايش بعضها مع بعض، هذه حقيقة مَفهومية، إن قدرنا أن نختار، وكل اختيار قد تتبعه خسارة لا تُعوض »[١٤٤]، فالنفس تحمل ثنايا من اليوتوبيا والديستوبيا معا، بل خيَّرنا الله تعالى بينهما ، فالحياة الدنيا كلها من أجل (طوبى)، وهي الطوباوية التي حلم بها الإنسان حلما واقعياً.

وتظهر ثنائية الديستوبيا واليوتوبيا في خروج صحابته– ﷺ – إلى الحبشة ، فتَحْتَ ما لقيه الصحابةُ من اضطهاد في أول بعثته صلى الله عليه وسلم، خرجوا للحصول على بيئة خالية من الاضطهاد والظلم، يبحثون عن الإنسانية، عن يوتوبيا حلمت بسعادتها البشريةُ، وبحريتها النفوس، فكانت خطبة جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي ملك الحبشة،عندما هاجر الصحابة من قريش إلى أرض الحبشة ، تجد فيها مقارنات ومفارقات بين ديستوبيا قريش، ويوتوبيا محمد التي جاء بها الدين الجديد، **ففي <u>المقطع الأول</u>:** ذكر جعفر ديستوبيا البيئة القرشية، والمجتمع الجاهلي ، وما فيها من مفاسد وفواحش ، وظلمات ، فقال أيها الملك :

كناقوما أهل جاهلية، **نعبد الأصنام، ونأكل الميتة،ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيئ الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف،** ....

وفي <u>المقطع الثاني</u>: ذكر يوتوبيا الدين الجديد، وما يحمله من فضائل ومثالية،قائلا أيها الملك :

وبقينا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدَعَانَا إلى الله ، **لنوحده ونعبده** ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وقد أمرنا **بصدق الحديث ، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم ، وحقن الدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات** ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً،وأن **نقيم الصلاة نؤتى الزكاة،ونصوم رمضان**....فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من عند الله ، فحللنا ما أحل لنا وحرمنا ما حرم علينا..

فما كان من قومنا أيها الملك إلا أن عدوا علينا، فعذبونا أشد العذاب ليفتنونا عن ديننا ويردونا إلى عبادة الأوثان.... فلما ظلمونا وقهرونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك، ورغبنا فى جوارك ورجونا ألا نظلم عندك[١٤٥] .

فلقد« جاءت البعثة المحمدية تكسر العصبية القبلية المحمية بنظام القرابة المحدد والمنتج

(١٤٤) بين الواقع وحلم سلام المستقبل ، عبد الكاظم عبودي ، صـ ١٣٩.

(١٤٥) ينظر: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، المؤلف/ أبو القاسم عبد الرحمن بن السهيلي (٥٨١هـ) ، تحقيق/ عمر عبد السلام السلامي ، ٣ / ١٥٠، دار إحياء التراث – بيروت ، ط١ ، سنة ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.

لهرميـة المجتمـع الجـاهلي بمـا يتضـمن مـن علاقات اقتصادية ومعايير سلوكية ، وتولد بذلك الجدليـة العليـا التـي سـتحكم المشـروع الثقـافي العربـي فـي تاريخيتـه وهـي جدليـة الصـراع بـين الرسالة تارة والأيديولوجيا ، وبينها وبين اليوتوبيا، فلقد حملت الرسالة– أبان البعثة– الدعوة إلى قلب الانتماء لدى العربي .... ففي أيام البعثة كانت الرسالة تعني تحريراً شمولياً من سيطرة أيـديولوجيا العصـبيات القبليـة لـدى العـرب ، والمؤسســـات الامبراطوريـــة لـــدى الفـــرس والروم»(١٤٦).

ثم يأتي الخروج الثاني،خرج النبي– صلى الله عليه وسل– وأصحابه– رضيالله عنهم– من مكـــــة ، بيئـــــة الظلـــــم والقهـــــر والاضطهادو (الديســـتوبيا)، إلـــى المدينـــة المنـورة،وهي بيئـة الحـب والمؤاخـاة والإيثـار (اليوتوبيـا)، ويؤكـد ذلـك قولـه تعـالى:

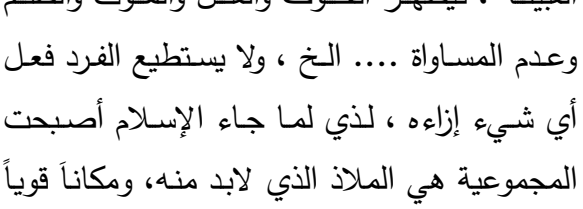

فقبل ظهورالإسلام نلحظ سيطرة القبلية والقوة السُلطوية التي تمارس القطاع المستبد على أفراد القبيلـة ، فيظهـر الخـوف والقتـل والمـوت والظلـم وعـدم المسـاواة .... الـخ ، ولا يسـتطيع الفـرد فعـل أي شـيء إزاءه ، لـذي لمـا جـاء الإسـلام أصـبحت المجموعية هي الملاذ الذي لابد منه، ومكاناً قوياً لا يمكـن مقاومتـه ، فكـان لابـد مـن الهجـرة (الخروج ، ثم بناء الجوامع ، ثم المؤاخاة) في بداية عهده وتأسيسه بالمدينة المنورة.

كمـا حـارب المسـلمون الكفارحربـاً ضروسـاً، وقاتلوا عن عقيدة راسخة، مؤمنين بما أنزله الله في

(١٤٦) الرسالة بين الأيديولوجيا واليوتوبيا ، صـ ١٧.

(١٤٧) سورة الحشر ، آي ٧ ، ٨ .

كتابه من أن خير الموت موت في سبيله ، فيقول عبد الله بن رواحة: (١٤٨)

١- خلُّوا بني الكفار عن سبيلهْ
خلُّوا فكلُّ الخير في رسُولهْ
٢- قد أنزلَ الرحمنُ في تنزيلهْ
في صُحُفٍ تُتلى على رسولهْ
٣- بأنَّ خيرَ القتل في سبيلهْ
يا ربِّ إنّي مؤمنٌ بِقِيْلِهْ

فلابدمن تأثر المجتمع الجاهلي بالحياة الجديدة ذي الأثر الأخلاقي وما تحمله من أفكار وألفاظ وعبارات، فالإنسان بفطرته التي فطره الله عليها يحسُّ هذه المثل والفضائل ، ولقد نادى بها عبد الله بن رواحة قائلاً : (١٤٩)

١- شهِدتُ بأنَّ وعدَ الله حقٌّ
وأنَّ النارَ مثوى الكافرينا
٢- وأنَّ العرشَ فوقَ الماءِ طافٍ
وفوقَ العرشِ ربُّ العالمينا
٣- وتحمِلُهُ ملائكةٌ كِرامٌ
ملائكةُ الإلَهِ مُقَرَّبِينا

كما يشهد بالله أن محمدا رسول الله حقاً، أرسله الله- تعالى- المتربع على عرش السماوات ، فيقول ابن رواحة : (١٥٠)

١- شهِدتُ بإذنِ اللهِ أنَّ محمداً
رسولُ الذي فوقَ السَّمَوَاتِ مِنْ عَلُ

إلا أن يتعارض بعضها مع بعضها الآخر، كما أ نَّ فكرة الكُل المتكامل،أوالحل النهائي،أوالجنة التي تتعايش في إطارها كل الأمورالخيرة ، هي فكرة غير قابلة للتحقق . وبعض الفضائل الكبرى لا يستطيع أن يتعايش بعضها مع بعض، هذه حقيقة مَفهومية، إن قدرنا أن نختار، وكل اختيار قد تتبعه خسارة لا تُعوض »(١٥١)، فالنفس تحمل ثنايا من اليوتوبيا والديستوبيا معا، بل خيَّرنا الله تعالى بينهما ، فالحياة الدنيا كلها من أجل (طوبى)، وهي الطوباوية التي حلم بها الإنسان حلما واقعياً.

وتظهر ثنائية الديستوبيا واليوتوبيا في خروج صحابته- ﷺ - إلى الحبشة ، فتَحْتَ ما لقيه الصحابةُ من اضطهاد في أول بعثته صلى الله عليه وسلم، خرجوا للحصول على بيئة خالية من الاضطهاد والظلم، يبحثون عن الإنسانية، عن يوتوبيا حلمت بسعادتها البشريةُ، وبحريتها النفوس، فكانت خطبة جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي ملك الحبشة،عندما هاجر الصحابة من قريش إلى أرض الحبشة ، تجد فيها مقارنات ومفارقات بين ديستوبيا قريش، ويوتوبيا محمد التي جاء بها الدين الجديد، **ففي <u>المقطع الأول</u>:** ذكر جعفر ديستوبيا البيئة القرشية، والمجتمع الجاهلي ، وما فيها من مفاسد وفواحش ، وظلمات ، فقال أيها الملك :

كناقوما أهل جاهلية، **نعبد الأصنام، ونأكل الميتة،ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيئ الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف، ....**

(١٤٨) ديوان عبد الله بن رواحة .. ودراسة في سيرته وشعره ، تحقيق/ وليد قصَّاب ، صـ ٩١، دار العلوم ، ط١ ، سنة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.
(١٤٩) السابق ، صـ٩٢.
(١٥٠) السابق ، صـ٩٣.
(١٥١) بين الواقع وحلم سلام المستقبل ، عبد الكاظم عبودي ، صـ ١٣٩.

وفي المقطع الثاني: ذكر يوتوبيا الدين الجديد، وما يحمله من فضائلومثالية، قائلا أيها الملك :

وبقينا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدَعَانَا إلى الله ، **لنوحده ونعبده** ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وقد أمرنا **بصدق الحديث ، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم ، وحقن الدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ،** وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً،وأن **نقيم الصلاة ،ونؤتى الزكاة ، ونصوم رمضان**....فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من عند الله ، فحللنا ما أحل لنا وحرمنا ما حرم علينا..

فما كان من قومنا أيها الملك إلا أن عدوا علينا، فعذبونا أشد العذاب ليفتنونا عن ديننا ويردونا إلى عبادة الأوثان.... فلما ظلمونا وقهرونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك، ورغبنا فى جوارك ورجونا ألا نظلم عندك(١٥٢) .

فلقد « جاءت البعثة المحمدية تكسر العصبية القبلية المحمية بنظام القرابة المحدد والمنتج لهرمية المجتمع الجاهلي بما يتضمن من علاقات اقتصادية ومعايير سلوكية ، وتولد بذلك الجدلية العليا التي ستحكم المشروع الثقافي العربي في تاريخيته وهي جدلية الصراع بين الرسالة تارة والأيديولوجيا ، وبينها وبين اليوتوبيا، فلقد حملت الرسالة– أبان البعثة– الدعوة إلى قلب الانتماء لدى العربي .... ففي أيام البعثة كانت الرسالة تعني تحريراً شمولياً من سيطرة أيديولوجيا العصبيات القبلية لدى العرب ، والمؤسسات الامبراطورية لدى الفرس والروم»(١٥٣).

ثم يأتي الخروج الثاني،خرج النبي– صلى الله عليهوسل–وأصحابه– رضياالله عنهم– من مكة، بيئة الظلم والقهر والاضطهادو(الديستوبيا)، إلى المدينة المنورة، وهي بيئة الحب والمؤاخاة والإيثار (اليوتوبيا)، ويؤكد ذلك قوله تعالى:﴿

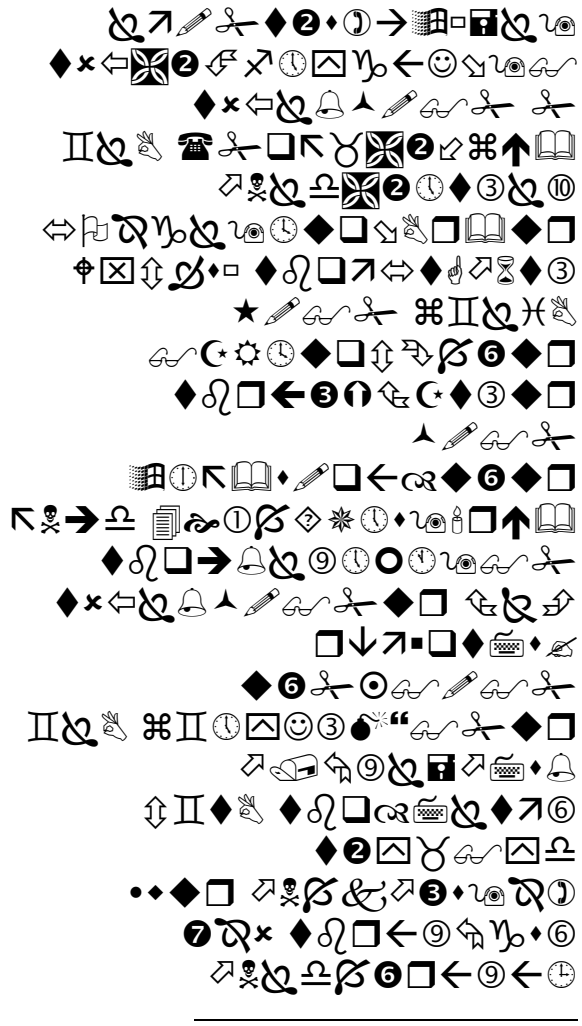

(١٥٢) ينظر: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، المؤلف/ أبو القاسم عبد الرحمن بن السهيلي (٥٨١هـ) ، تحقيق/ عمر عبد السلام السلامي ، ٣ / ١٥٠، دار إحياء التراث – بيروت ، ط١ ، سنة ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.

(١٥٣) الرسالة بين الأيديولوجيا واليوتوبيا ، صـ ١٧.

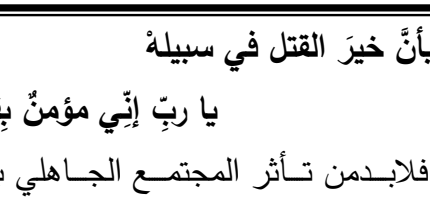

فقبل ظهورالإسلام نلحظ سيطرة القبلية والقوة السُّلطوية التي تمارس القطاع المستبد على أفراد القبيلة ، فيظهر الخوف والقتل والموت والظلم وعدم المساواة .... الخ ، ولا يستطيع الفرد فعل أي شيء إزاءه ، لذي لما جاء الإسلام أصبحت المجموعية هي الملاذ الذي لابد منه، ومكاناً قوياً لا يمكن مقاومته ، فكان لابد من الهجرة (الخروج ، ثم بناء الجوامع ، ثم المؤاخاة) في بداية عهده وتأسيسه بالمدينة المنورة.

كما حارب المسلمون الكفارحرباً ضروساً، وقاتلوا عن عقيدة راسخة، مؤمنين بما أنزله الله في كتابه من أن خير الموت موت في سبيله ، فيقول عبد الله بن رواحة: (١٥٥)

١- خلُّوا بني الكفار عن سبيلهْ

خلُّوا فكلُّ الخير في رسُولهْ

٢- قد أنزلَ الرحمنُ في تنزيلهْ

في صُحُفٍ تُتلى على رسولهْ

٣- بأنَّ خيرَ القتل في سبيلهْ

يا ربِّ إنّي مؤمنٌ بِقِيْلِهْ

فلابدمن تأثر المجتمع الجاهلي بالحياة الجديدة ذي الأثر الأخلاقي وما تحمله من أفكار وألفاظ وعبارات، فالإنسان بفطرته التي فطره الله عليها يحسُّ هذه المثل والفضائل ، ولقد نادى بها عبد الله بن رواحة قائلاً : (١٥٦)

١- شهِدتُ بأنَّ وعدَ الله حقٌّ

وأنَّ النارَ مثوى الكافرينا

٢- وأنَّ العرشَ فوقَ الماءِ طافٍ

وفوقَ العرشِ ربُّ العالمينا

٣- وتحمِلُهُ ملائكةٌ كِرامٌ

ملائكةُ الإلَهِ مُقَرَّبِينا

كما يشهد بالله أن محمدا رسول الله حقاً، أرسله الله- تعالى- المتربع على عرش السماوات ، فيقول ابن رواحة : (١٥٧)

١- شهِدتُ بإذنِ اللهِ أنَّ محمداً

رسولُ الذي فوقَ السَّمَوَاتِ مِنْ عَلُ

ويُنادي هذا الدين الجديد بالسلام، وهو من أهم السمات المثالية التي نادت بها اليوتوبيا، التي وَعَا إليها زهيرُ بن أبي سلمى من قبل، فالدين الجديد أخرجهم من ظلمات الجهل والوثنية إلى نورالإيمان والسلام ، فيقول ابن رواحة : (١٥٨)

١- خَلَفَ السَّلامُ على امرئٍ

ودَّعْتُه في النَّخْل خيرَ مَشَيّعٍ وخَليلِ

---

(١٥٤) سورة الحشر ، آي ٧ ، ٨ .

(١٥٥) ديوان عبد الله بن رواحة .. ودراسة في سيرته وشعره ، تحقيق/ وليد قصَّاب ، صـ ٩١، دار العلوم ، ط١ ، سنة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.

(١٥٦) السابق ، صـ٩٢.

(١٥٧) السابق ، صـ٩٣.

(١٥٨) السابق ، صـ٩٥.

إن الإســلام خيــر نظــام عرفتــه البريــه، اختـار الله نبيـه وصـحابته ليقيمـوا دعائمـه، يقـول كعب بن مالك : (١٥٩)

١- نَحنُ الخِيارُ مِنَ البَرِيَّةِ كُلِّها

ونِظَامِهَا وَزِمَامِ كُلِّ زِمَامِ

وتظهر قضية الاتباع في قول كعب : (١٦٠)

١- وَفِينَا رَسُولُ اللهِ نَتبعَ أَمْرَه

إذَا قَالَ فِينَا القَولَ لا نَتَطلعُ

فيتنـاول المجتمـع الجـاهلي ومـا يحملـه مـن ظلـم وعـدوان، ويقـاتلهم مـن أجـل تحقيـق العـدل والمسـاواة ، وهـو نفـس المبـدأ الـذي نـادى بـه الصعاليك من قبل، فيقول كعب : (١٦١)

١- نُقَاتِلُ مَعْشَراً ظَلَمُوا وعَقُّوا

وكَانُوا بِالعَدَاوَةِ مُرصدِينَا

ويقول عن البغي والجور أيضاً : (١٦٢)

١- عَجبتُ لأمْرِ اللهِ ، وَاللهُ قَادِرُ

عَلَى مَا أَرادَ ، لَيسَ للهِ قَاهِرُ

٢- قَضَي يَومَ بَدرٍ أنْ نُلاقِي مَعْشراً

غُـوا وسَـبِيلُ البَغْـيِ بِالنَّـاسِ جَـائِرُ

وهـذا يثبـت أن اليوتوبيـات السـابقة علـى الـدين الاسـلامي كانـت تمهيـداً لـه، فيوتوبيـا الصـعاليك ليست متعددة الجوانب، فهي لم تكن سوى تنظيم للخروج والثورة على بعض الأمور دون الأخرى ، ومثلها يوتوبيا السلام عند زهير ، ويوتوبيا التوحيد عند أمية ، ويوتوبيا الأخلاق عند عنترة ... فتلك يوتوبيـات جزئيـة وحركـات فرديـة تثبـت مجـداً شخصـياً لأصـاحبها ، بخـلاف العهـد النبـوي وشموليته .

« ويعتقد أفلاطـون أن الشـعب لا يمكـن أن يكون قوياً ما لم يؤمن بالله ، وهو إله حي يستطيع أن يحرك الخوف في القلوب التي استولت عليها الأنانية الفردية »(١٦٣).

« نقصد باليوتوبيا هنا ما هو نموذجي ، كلي ، محض ، صرف ، نقي ، مثالي ، متعالٍ ، صورة ومتخيل ، وهو ضرورة الإيمان ، ولعله نوع من متطلبات التقديس » (١٦٤)،« وفي اليوتوبيا الدينية لا مكان للسمة الإقليمية ولا الهوية »(١٦٥).

ثـم بـدأت تنطلـق دعوتـه – ﷺ – نحـو الشمولية والمثالية ، والإنسانية النقية ، حاملة لواء التوحيـد والأخـلاق والفضـائل ، بـلا جزئيـة ولا طائفية .... فكان الإسلام .. دين الله الخالد .

فمهما طالت القراءة في عالم اليوتوبيا الذي يبحث عن حياة سعيدة ، و(مدينة فاضلة) ... فهل هذا يخلق حضارة جديدة يعيشها العالم أو خلقتها البدائيات ؟ .. وهل الترف – الذي يعيشه العالم الآن – معيار للدمار والفناء كما قال ابن خلدون ؟ ، وهل ترى البشرية تدور حول نفسها ،

(١٥٩) ديوان كعب بن مالك الأنصاري ، تحقيق/ سامي مكي العاني ، صـ ٨٥ ، منشورات مكتبة النهضة – بغداد ، ط١ ، ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦م.

(١٦٠) السابق ، صـ ١٠٥ .

(١٦١) السابق ، صـ ١٠٧ .

(١٦٢) السابق ، صـ ١١١ .

(١٦٣) جمهورية أفلاطون ، تحقيق وتعليق / أحمد المنياوي ، صـ ٤٥.

(١٦٤)الإسلام بين اليوتوبيا والتاريخ ، سمير إبراهيم حسن ، صـ ١٢٥ .

(١٦٥) السابق ، صـ ١٢٦.

وتعود إلى النقطة التي منها انطلقت ؟ مستبدلة العصا والحجارة بالسيف والرمح ثم أدوات الحرب الحديثة ، هل ما كان يفعله الصعاليك من قتل وغارة من أجل التغيير صورة تغيَّرت مع تطور العصر إلى أدوات حربية متطورة ، تدل على تطور واقع الإنسان دون حصول أي تطور في طبيعته الإنسانية ، هل لو ظهرت طائفة الصعاليك اليوم هل تكون بديلاً لطوائف في عصرنا الحاضر ، ... لذا يمكن إقصاء فكرة أن التطور في معارف الإنسان يعني بالضرورة تطوراً في طبيعته ، فلو حصرنا مَنْ قتلهم الصعاليك لم يتجاوز واحداً على مليون من القتلة في العصور الحديثة ، فما دامت نسبة الضحايا أكثر في عصور الحضارة ، فإن من المسلم به أن العلاقة بين الطبيعة البشرية والتطورالحضاري ليست متكافئة ، بل علاقة أضداد ، ... ونعود لنتساءل : هل اليوتوبيا (الاجتماعية ، والتربوية ، والدينية ، والقانونية ، والأخلاقية، والنظامية ، والسلوكية) ستكون موضع تنفيذ في المجتمعات يوما ما أو ستظل رهينة التصميم والنشأة ؟، هل محاولات الكُتاب اليوم والنقاد بالأمس ، والباحثين عنها في الأشعار قديماً وحديثاً ، لها جدوى في إمكانية تحقيقها على أرض واقعية ... أوستظل حلما يخالط العقول ، وتحاكيه الألسن ، وتتناوله الأقلام ، ... وسيظل السؤال قائماً ...؟؟؟؟؟؟.

الخاتمة

وبعد هذا الطرح السريع لـ" نظرية اليوتوبيا عند العرب" نستطيع القول بإنها كانت واحدة من النظريات التي هيأتها بواعث كثيرة لكي تكشف عن تجربة واقعية تمس الجانب الإنساني في البيئة الجاهلية.

كما يكشف عن حركات يوتيوبية متعددة ومختلفة منها : حركة امرئ القيس ، حركة الأحناف ، حركة الحكماء والفرسان ، وحركة الصعاليك ... وغيرها.

أكدت الدراسة أن اليوتوبيا ليست بالضرورة أن يكون المقصود منها الهروب من الواقع نحو أفكار مثالية حالمة غير موجودة أو غير واقعية ، فهي ليست خيالا جامحا أو فانتازيا غير ملموسة ، بل يجب أن تكون بمنتهى الواقعية لتغيير واقع ما ، تدعو لتحقيقه على أرض واقعية.

ويؤكد البحث أن الحركات الثورية في البيئة الجاهلية كانت جزئية تعالج بعض القضايا كالجوع والفقر والمساواة ، والسلم ، وتترك أخرى مثل الثأر ، والمرأة ، والغارة ، والفحش ، ومع ذلك كان الشعوربهذه الحركات أقوى ما يمكن في ذلك الوقت؛ لأنها كانت شعارا لميلاد حياة جديدة وإرهاصات لعهد النبوة.

كما تبيَّن أن الصعاليك طائفة تسعى إلى تصوير مدى فظاعة وجود الشر وعواقبه ، قاصدةً من وراء ذلك محاربة الاتجاه السلبي ، لإظهار مدى قبحه واستنكار النفس البشرية له ونفورها منه ، من خلال ممارسات ممنوعة ، وأدوات غير مقبولة إلى حد ما ، لذلك ظهرت معاداة اليوتوبيا من المجتمع الجاهلي ، لتنكر الإفراط في المثالية الحالمة .

والسبب في ظهور معاداة اليوتوبيا في سِفر الصعاليك ووثيقتهم التاريخية يرجع إلى عاملين ،

أولهما : استخدام أداوت غير مقبولة من قتل ونهب وقطع طريق وترويع الآمنين . وثانيهما : قيام عملهم على الفوضوية وعدم قدرتهم على خلق عمل له نظام سياسي تقبله البيئة الجاهلية

إن وجود مثل هذه المراحل والتطورات في أدبنا القديم ، يؤكد أن تراثنا العربي ما زال بحاجة ماسة إلى إعادة قراءته واستقصائه ، ومن المأمول العثور على نماذج يوتوبية أخرى غير يوتوبيا الفارابي وأبي العلاء المعري وابن وهب ، وأمية بن أبي الصلت، وزهير ، وعنترة ، وامرؤ القيس ، والصعاليك ... وغيرهم، وأن يلتفتوا إلى أبعد من ذلك .

ومن خلال هذا كله يتضح لنا أن جذور الفكر اليوتوبي ثاوٍ عند العرب قديماً ، في تراثنا العربي الذي اتسم بخصبه وغناه وامتلاكه القدرة على رفد واقعنا الأدبي والفكري بكل ما هو مفيد ومثير .

المصادر والمراجع

أولاً : الكتب

١- آراء أهل المدينة الفاضلةومضادَّاتها،لأبي نصر محمد الفارابي،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة– القاهرة ،(د/ ط. ت).

٢- الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديمًا وحديثًا،عفيف عبد الرحمن، دارالفكر،عمان 1977م،(د/ ط).

٣- الأغاني لأبي الفرج الأصفاني، تحقيق/ سمير جابر، دارالفكر– بيروت ، ط٢ .

٤- بدرشاكر السياب دراسة في حياته وشعره ، إحسان عباس (ت١٤٢٤هـ) ،الطبعة: الرابعة، دار الثقافة، بيروت– لبنان ، ١٩٧٨ م .

٥- التيجان في ملوك حمير، وهب بن منبه رواية ابن هشام، تحقيق ونشر/ مركز الدراسات والأبحاث اليمنية– الجمهورية العربية اليمنية– صنعاء ،ط١، سنة ١٣٤٧هـ .

٦- جمهورية أفلاطون(المدينة الفاضلة كما تصوَّرها فيلسوف الفلاسفة)، إعداد/ أحمد المنياوي، دارالكتاب العربي– دمشق – القاهرة ، الطبعة ١، سنة ٢٠١٠م.

٧- الحياة العربية في الشعر الجاهلي ، د/أحمد محمد الحوفي، مكتبة نهضة القاهرة– مصر ،١٩٥٢م.

٨- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف/ أبو القاسم عبد الرحمن بن السهيلي (٥٨١هـ)، تحقيق/ عمر عبد السلام السلامي،٣ /١٥٠، دار إحياء التراث– بيروت، ط١، سنة ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٩- شعرنا القديم رؤية عصرية ، أحمد سويلم ، المجلس الأعلى للثقافة، جمهورية مصر 1979م.

١٠- الشعروالشعراء لابن قتيبة، قدم له/ حسن تميم ، راجعه/ محمد عبد المنعم الريان ، دار إحياء العلوم– بيروت ، ط٣ ، سنة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

١١- الشعراء الصعاليك في العصرالأموي ، حسين عطوان،دارالمعارفبمصر ،1970 م.

١٢- الصناعتين،لأبي هلال العسكري، تحقيق/ علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، صد ٣٤٢ ، ط ١، سنة١٣٧١هـ-١٩٥٢ م ، دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي.

١٣- العصرالجاهلي، شوقي ضيف ، صـ ٢٤١-٢٤٢، دارالمعارف ، الطبعة الثالثة والثلاثون .(د/ ت).

١٤- المحبّر لأبي جعفرمحمد بن حبيب ، رواية / أبي سعيد السّكري ، عنى به دكتورة / إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة – بيرو (د/ ط.ت).

١٥- المدينة الفاضلة عبر التاريخ ، ماريا لويزا برنيري ، ترجمة :عطيات أبو السعود، عالم المعرفة ، العدد 225 ، ديسمبر 1997 م .

١٦- مدينة الله ، للقديس أوغسطينس، نقله إلى العربية / الخور أسقف يوحنا الحلو، دار المشرق– لبنان ،الطبعة الثانية، سنة ٢٠٠٦م.

١٧- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية ، جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، طبعة سنة ١٩٨٢ م
(باب: الطاء ، طوباوية).

١٨- موسوعة علم النفس، أسعد رزوق ، مراجعة :عبدالله عبد الدايم، ط ٣، المؤسسة العربية للدارسات والنشر، بيروت ،١٩٨٧ م ، صد ٢٨٥.

١٩- موسوعة الفلسفة والفلاسفة ،عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، ط٣ سنة ٢٠١٠م .

٢٠- النزعات المادية في الفلسفة العربية، حسين مروة ، دارالفارابي، بيروت، سنة 1979 م، (د / ط).

٢١- نقد الشعر، قدامة بن جعفر(ت ٣٣٧هـ)، مطبعة الجوائب– قسطنطينية، الطبعة:الأولى، ١٣٠٢هـ

22- Booker, M. Keith. Monsters, mushroom clouds, and the Cold War: American science fiction and the roots of postmodernism, 1946-1964. Vol. 95. Greenwood Publishing Group, 2001.

23- Lesjek Kolakowski ،The Death of utopia Reconsidered TheTheaner lectures on human values the Austratian National university . june 22.1982

ثانياً : الدواوين

٢٤- ديوان تأبط شرا وأخباره، تحقيق/على ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي ، ط١ ،١٩٨٤م.

٢٥- ديوان الشنفرى ، تحقيق / إميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي بيروت ، ط٢ ، سنة ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦م.

٢٦- ديوان عبد الله بن رواحة .. ودراسة

٢٧- في سيرته وشعره ، تحقيق/ وليد قصَّاب ، دار العلوم ، ط١ ، سنة ١٤٠١ هـ-١٩٨١م.

٢٨- ديوان عروة(أميرالصعاليك)، تحقيق /أسماء أبو بكر محمد ، دار الكتب

العلمية ، بيروت،١٤١٨ هـ-1998م
.العصرالجاهلي ، شوقي ضيف .
٢٩- ديوان كعب بن مالك الأنصاري، تحقيق/ سامي مكي العاني، منشورات مكتبة النهضة – بغداد ، ط١ ، ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦م.
٣٠- ديوان الهذليين، القسم الثاني، مطبعة دار الكتب المصرية ، ط٢ ، ١٩٩٥م.
٣١- شرح ديوان أمية بن أبي الصلت ، قدم له وعلق / سيف الدين الكاتب ، و أحمد عصام الكاتب ، صـ ٧ ، منشورات مكتبة الحياة – بيروت .(د/ ت.ط).
٣٢- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ،
٣٣- صنعه / أبو العباس ثعلب ، قدم له وعنى به/ حنا نصر الحتي ، صـ ١٦ ، دار الكتاب العربي– بيروت ، سنة ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م (د/ ط).
٣٤- شرح ديوان عنترة للخطيب التبريزي ، قدم له وعنى به / مجيد طراد ، صـ ٢٢ ، دار الكتاب العربي ، ط١ ، سنة ١٤١٢
٣٥- هـ – ١٩٩٢ م.

ثالثاً: المجلات والدوريات

٣٦- الإسلام بين اليوتوبيا والتاريخ ، سمير إبراهيم حسن، وسلطان محمد الهاشمي، المجلة العربية – لبنان ، العدد ٣٣-٣٤ ، سنة ٢٠١٦م .
٣٧- الاغتراب ونشأة المدينة واليوتوبيا ، محمد ذنون زينو الصائغ ، مجلة الوثيقة – البحرين ، مج ٣١ ، العدد ٦٢ ، سنة ٢٠١٢م.
٣٨- الإيديولوجيا واليوتوبيا في فكر مانهايم : تأصيلات نظرية في الممارسات السياسية ، محمد أمين جيالي ، مجلة الاستغراب – مكتب بيروت لبنان ، العدد ٦ ، سنة ٢٠١٧م .
٣٩- بين اليوتوبيا والواقع وحلم سلام المستقبل "، عبد الكاظم العبودي ، العدد ١٣ ، المجلة العربية لعلم الاجتماعي – لبنان ، سنة ٢٠١١ م .
٤٠- ثنائية (اليوتوبيا والديستوبيا) في الرواية العراقية ، أحمد عبد الرازق ناصر الحسني ، مجلة كلية الآداب جامعة بغداد – العراق ، العدد١١٢ ، سنة ٢٠١٥م .
٤١- الرسالة بين الأيديولوجيا واليوتوبيا "، مطاع صفدع ، العدد ١٤-١٥ ، مجلة الفكر العربي المعاصر – لبنان ، سنة ١٩٨١م.
٤٢- في اليوتوبيا العربية "، جبار عباس اللامي ، مجلة الثقافة – الأردن ، العدد ٦٠ ، ٢٠٠٣م.
٤٣- مركزية المعرفة في مدينة الشمس " قراءة في يوتوبيا الفيلسوف الإيطالي توماسو كامبنيلا " للباحث/ محمد قنفودي، موقع/ مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث ، ١٨ يوليو ٢٠١٦ .

٤٤- يوتوبيا ، توماس مور، ترجمة وتقديم / أنجيل بطرس سمعان ، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧م .
٤٥- يوتوبيا ٩ /١١ : التماس لعالم جديد " ، مؤلف/ نيكول شوارتز مورجان ، ترجمة / سعاد الطويل ، العدد ٢٠٩ ، مجلة ديوجين– مصر، سنة ٢٠٠٧ م.
٤٦- اليوتوبيا بين القراءة والخلاص" ، مؤلف/ سيلفانا رابينوفيتش ، ترجمة: آمال تمام الكيلاني ،
٤٧- مجلة ديوجين– مصر، العدد ٢٠٩ ، طبعة سنة ٢٠٠٧